

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

التربية بالمشاهدة

خطوات عملية على طريق تربية النفس



دكتور
شريف فوزي سلطان

دار اللؤلؤة

للتنوير والتوزيع
بمكة المكرمة

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

التربية بالمجاهدة



كُلُّ الْحَقُوقِ مُحْفُوظَةٌ

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التصوير وغير ذلك دون حصول على إذن خطي من المؤلف والناشر.

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

رقم الإيداع: ١٣٣٠٧ / ٢٠١٧

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

🐦 @DarElollaa

📧 Dar_Elollaa@hotmail.com

📍 الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

☎ 01050144505 - 0225117747

📍 المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

☎ 01007868983 - 0502357979

التربية بالمجاهدة

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

خطوات عملية على طريق تربية النفس

دكتور

شريف فوزي سلطان

عفا الله عنه بمنه وكرمه

دار الألوكة

للنشر والتوزيع
الميصورة - مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهداء

إلى والدي رَحِمَهُ اللهُ

إلى والدتي حفظها الله وغفر لها

إلى شقيقة الروح أم المقدام، رفع الله درجاتها في عليين

إلى قرّة عيني، إلى بسمتي التي رُسمت على وجهي، ابنتي

الغالية: مروة

إلى صديقي الصدوق وصاحبي الأوفى

الشيخ نافع الأودن



مُقْتَلَمَاتٌ

إِن مِنْ قَوَاعِدِ السَّلَفِ الْمَجْمَعِ عَلَيْهَا بَيْنَهُمْ: أَنَّ النَّفْسَ حِجَابٌ
بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ حَتَّى يَقْطَعَ هَذَا الْحِجَابَ.

وَالنَّاسَ مَعَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى قَسْمَيْنِ:

قَسْمَ ظَفَرَتْ بِهِ نَفْسُهُ، فَمَلَكَتَهُ، وَأَهْلَكَتَهُ، وَصَارَ طَوْعًا لَهَا تَحْتَ
أَمْرِهَا.

وَقَسْمَ ظَفَرُوا بِأَنْفُسِهِمْ، فَفَهَرَوْهَا، فَصَارَتْ طَوْعًا لَهُمْ مَنْفَذَةٌ
لِأَمْرِهِمْ، وَشَتَّانَ شَتَّانَ بَيْنَ الْقَائِدِ وَالْمُنْقَادِ، فَمَنْ ظَفَرَ بِنَفْسِهِ أَفْلَحَ
وَأَنْجَحَ، وَمَنْ ظَفَرَتْ بِهِ نَفْسُهُ خَسِرَ وَهَلَكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى
﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧-
[٤١]

فَالنَّفْسُ تَدْعُو إِلَى الطَّغْيَانِ، وَإِيثَارِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالرَّبُّ تَعَالَى
يَدْعُو عَبْدَهُ إِلَى خَوْفِهِ وَنَهْيِ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَىٰ، وَهَذَا مَوْضِعُ الْمَحْنَةِ
وَالِابْتِلَاءِ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: " ففي النفس ثلاثة دواعي متجاذبة: داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش، وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان وهو داعي الشهوة، وداع يدعوها إلى أخلاق الملك من الإحسان والنصح والبر والعلم والطاعة" (١) وهنا يحصل التجاذب، وتقوم مجاهدة النفس بدور عظيم يجعل الجولة حسنة والخاتمة عظيمة.

وقد وصف الله تعالى النفس في القرآن بثلاث صفات:

نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة بالسوء.

١- فالنفس المطمئنة: هي التي سكنت إلى الله واطمأنت بذكره وأنابت إليه واشتافت إلى لقائه وأنست بقربه، وهي التي يقال لها عند الوفاة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٤٧﴾ ارجعي إلى ربِّكِ راضيةً مَرْضِيَّةً ﴿٤٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي ﴿٤٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٥٠﴾ [الفجر: ٢٦-٢٧].

وإنما سميت مطمئنة، لأنها اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره وأمره ونهيه وخبره ولقائه ووعده، كما اطمأنت إلى الرضا به رباً

(١) - مدارج السالكين ابن القيم ج ٢



التربية بالمجاهدة

وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، واطمأنت كذلك إلى قضائه وقدره.

٢- النفس اللوامة: هي التي تلوم صاحبها دائماً، تلومه إذا أحسن ألا يكون ازداد إحساناً، وتلومه إذا أساء ألا يكون رجع عن إساءته.

والنفس اللوامة نفس مؤمنة ولذلك أقسم الله بها قائلاً: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۗ﴾ [القيامة: ٢-١]

قال الحسن: " إن المؤمن - والله - ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته يستقصرها في كل ما يفعل فيندم ويلوم نفسه وإن الفاجر ليمضي قدماً لا يعاتب نفسه ".

٣- النفس الأمارة بالسوء: هي التي تأمر صاحبها بما تهواه من شهوات الغي واتباع الباطل، وهي الأصل كما قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۗ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾ [يوسف: ٥٣]

إن النفس البشرية عموماً، خلقها الله تعالى أمارة بالسوء، ميالة إلى الشر، فرارة من الخير، إلا من رحم الله تعالى ووفقه إلى تركيتها وتطهيرها بالأعمال الصالحة ودوام المحاسبة والمجاهدة، حتى



تتحول إلى نفس لوامة، تلوم صاحبها على ما لا يُرضي، ثم إلى نفس مطمئنة لا تأمر صاحبها إلا بما يُرضي، فإن زلّت قدمه سرعان ما يعود إلى ربه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٢٤ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٧٢ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ

الْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١ ﴾ [المعارج: ١٩-٢٠]

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَىٰ ٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ ٧ ﴾

[العلق: ٦-٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ١ ﴾ أي: جحود لنعم الله

﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٨ ﴾ [العاديات: ٦]

والخير: المال.

وقال تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَهُ أُمَّامَهُ ٥ ﴾ أي: يملأ الأرض

فجوراً ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٦ ﴾ [القيامة: ٥] سؤال استنكار!! هذه

بعض الوصف الذي جُبِلَ عليه الإنسان.



ولذلك كان النبي ﷺ إذا خطب قَدَم بين يدي خطبته: " إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.." (١)

وقال له أبو بكر يوماً: " يا رسول الله، مُرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: " اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيءٍ ومليكه، أشهد ألا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم، قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك " (٢)

فإن قيل: ولماذا خلق الله النفس كذلك؟

الجواب: خلق الله تعالى النفس كذلك امتحاناً وابتلاءً، وليقوم الإنسان بمهمته في هذه الحياة، وليظهر مدى امتثاله لأمر ربه، هل سيهمل نفسه وينساها؟ أم سيعمل جاهداً على تزييتها وتطهيرها؟

وهنا أقسم الله تعالى بالنفس قائلاً: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۗ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۗ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۗ ﴾

(١) - انظر خطبة الحاجة: محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وانظر صحيح الجامع.



[الشمس: ٧-١٠] قد أفلح من حاسبها وجاهدها ودفعها إلى الطاعة دفعاً، وقد خاب وخسر من نسيها وأهملها.

ماذا يُراد بالمجاهدة؟

مجاهدة النفس: حملها على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، وإذا قَوِيَ العبد على ذلك قَوِيَ على جهاد أعداء الدين.

قال المُنَاوِي: المجاهدة: حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى وقيل: هي بذل المستطاع في أمر المطاع. (١)

قال القشيري: أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات، وحملها على غير هواها. (٢)

المجاهدة طريق الهداية:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فعلق سبحانه وتعالى الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه

(١) فيض القدير.

(٢) - فتح الباري.



التربية بالمجاهدة

الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته. (١)

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: " فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها " (٢)

وقال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحجر: ٧٨]

قال ابن المبارك في تفسيرها: " الجهاد في الله هو جهاد النفس والهوى " (٣)

وقال صاحب الظلال: " فالمسلم عندما يؤمر بالمجاهدة لا يعني ذلك أن يبذل فوق طاقته، وأن يتحمل أكثر مما يقدر عليه، وإنما هو ضبط النفس والتحكم فيها، لتسير في طريق صلاحها وسعادتها وتعتصم بحبل ربها.

وقال تعالى: ﴿ وَنَنْ جَهْدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦]، والآية مكية على الصحيح، والمراد جهاد النفس، فمن جاهد نفسه في طاعة الله فإن نفع ذلك يعود عليه.

(١) - الفوائد: ابن القيم.

(٢) إحياء علوم الدين.

(٣) ذم الهوى: ابن الجوزي.



وقال صلى الله عليه وسلم: "المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" (١)

وقال صلى الله عليه وسلم: "أفضل المؤمنين إسلاماً مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَأَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَأَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (٢)

سأل رجلُ عبدَ الله بنَ عمر عن الجهاد؟ فقال: ابدأ بنفسك فجاهدها. (٣)

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعمر حين استخلفه: "أول ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك" (٤)

قال إبراهيم بن علقمة لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر! قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب" (٥)

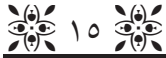
(١) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) - جامع العلوم والحكم: ابن رجب.

(٤) - جامع العلوم والحكم: ابن رجب.

(٥) - جامع العلوم والحكم: ابن رجب.



التربية بالمجاهدة

يا من يجاهد غازياً أعداء دين الله يرجو أن يعان ويُنصرا
هلا غشيت النفس غزواً إنها أعدى عدوك كي تفوز وتُنصرا
إن أنت نلت جهادها وعنادها فلقد تعاطيت الجهاد الأكبر
جاء رجل لبعض العارفين، فقال: قطعْتُ إليك مسافة، فقال له:
ليس هذا الأمر بقطع المسافات، فارق نفسك بخطوة وقد حصل لك
مقصودك " (١)

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: " واعلم أن رياضة الأنفُس أصعب من
رياضة الأسد، لأن الأسد إذا سُجنت في البيوت التي تُتخذ لها أمن
شرها، والنفس إذا سُجنت لم يؤمن شرُّها " (٢)

قال السُّري رَحِمَهُ اللهُ: " أقوى القوة غلبتكَ نفسك، ومن عجز عن
أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز " (٣)

فمن ملك نفسه وقهرها ودانها عزَّ بذلك؛ لأنه انتصر على أشد
أعدائه وقهره وأسرَه وكُفِيَ شرُّه قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُؤَفَّكَ نَفْسِهِ ﴾

(١) - مجموعة رسائل ابن رجب.

(٢) - الزهد للبيهقي.

(٣) - مداواة النفوس.



فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ [التغابن: ١٦]

المثل الأعلى في مجاهدة النفس:

وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في مجاهدة نفسه، وحمّلها على طاعة ربه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " كان رسول الله ﷺ إذا صلى، قام حتى تنفطر رجلاه، فقلت: يا رسول الله، هذا وقد عُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً" (١)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: أن أقعد وأذره" (٢)

وقد اقتدى به أصحابه واهتدى بهديه أحبابه:

❖ عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: سل، فقلت: أسألك مرافقتك في

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.



التربية بالمجاهدة

الجنة، قال: أو غير ذلك؟ قلت: هو ذلك، قال: فأعني على نفسك
بكثرة السجود" (١)

❖ وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: " كان رجلٌ لا أعلم رجلاً أبعد
من المسجد منه، وكانت لا تخطئه صلاة، فقيل له: لو اشتريت حماراً
تركبه في الظلماء وفي الرمضاء، فقال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب
المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا
رجعت إلى أهلي، فقال صلى الله عليه وسلم: " قد جمع الله لك ذلك كله " (٢)
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته

أطلب الريح مما فيه خسرانُ!

أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

وامدد يديك بحبل الله معتصماً

فإنه الركن إن خانتك أركانُ

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب.



(١) مجاهدة النفس على تحقيق الإخلاص

لأنه حقيقة الدين: قال تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر: ١١].

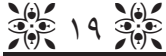
وقال تعالى ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣] فالله تعالى لا يقبل من الدين إلا ما خلص له، كما قال ﷺ: " إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه " (١)

ولأنه من أشق الأمور على النفس: إذ يحول بينها وبين متطلعاتها وشهواتها، فتحقيقه والاستمرار فيه، يحتاج مجاهدة كبيرة.

قيل لسهل بن عبد الله: أيُّ شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب. (٢)

(١) رواه النسائي وصححه الألباني.

(٢) مختصر منهاج القاصدين.



التربية بالمجاهدة

ولأن ثمراته عظيمة، ولا غنى للعبد عنها طرفة عين:

١- يقلب المباحات إلى طاعات:

فقد روى البخاري في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: "إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله، إلا أُجرتَ عليها، حتى ما تجعلُ في فم امرأتك"

٢- النية الخالصة تبلغ مبلغ العمل:

كما قال ﷺ: "من أتى إلى فراشه، وهو ينوي أن يقوم من الليل، فغلبته عيناه حتى أصبح كُتب له ما نوى وكان نومه صدقه عليه من ربه عز وجل" (١)

وقال ﷺ: من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغهُ اللهُ منازل الشهداء وإن مات على فراشه" (٢)

٣- يُخَلِّصُ العبد من كيد الشيطان:

قال تعالى - عن يوسف عليه السلام، وقد نجا من كيد امرأة

(١) رواه النسائي وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم.



العزير :- ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٣].

٤- تنفيس الكرب والخروج من الشدائد:

ويدل على ذلك حديث الثلاثة أصحاب الغار، الذين كاد الغار أن يكون قبراً لهم، لكنهم دعوا الله تعالى بصالح أعمالهم، وقال كل واحد منهم: "اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون" (١)

٥- الإخلاص طريق الجنة.

٦- الإخلاص سر الوصول إلى الله.

٧- الإخلاص يُنقي القلب من الأحقاد والأغلال.

٨- الإخلاص يملأ حياة العبد توفيقاً وبركة.

وحقيقته: أن تكون نيتك فيما تقوم به من قول أو فعل أو ترك لله، لا تريد غير الله، لا تريد سمعة ولا رياءً ولا رفعة عند أحد ولا خشية من أحد، وإلا ردَّ الله عليك عملك.

(١) متفق عليه.



ففي الحديث القدسي: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي غيري تركته وشركه " (١)

الإخلاص في العبادة:

الإخلاص في العبادة هو روح العبادة، وبدونه تفقد العبادة فائدتها، وتصير بلا أثر في حياة المسلم، بل قد تنقلب عليه إثمًا، فعندما يفقد المسلم الإخلاص في صلاته، تصبح عبارة عن حركات وسكنات وهمهمات، فلا يتذوق حلاوتها، ولا يرى لها في حياته أثراً.

كذلك الزكاة والصدقة، إذا أخرجها المسلم ابتغاء مرضاة الله قُبلت منه، وإذا أخرجها رياءً وسمعةً أو ليستميل بها قلوباً أو ليكسب أنصاراً، فإنه لن ينال إلا ما كسبه من جزاء الدنيا، ولذلك مدح الله المتصدقين الذين لا يبغيون من وراء صدقاتهم مدحاً ولا شكراً حين قال: ﴿ إِنَّمَا نَطْعَمُكَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٩]، وقال: ﴿ الَّذِي يُؤْفِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ١٨-٢٠]

وكذلك الصوم إذا لم يقصد العبد بصومه العبادة والتقرب إلى

(١) رواه مسلم.



الله كان صومه جوعاً وعطشاً، أو إضراباً عن الطعام، كما قال ﷺ: "رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع..." (١)

ولهذا قال ﷺ: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه" (٢)

وكذلك الحج أو العمرة فإن قصد بحجه السياحة أو التجارة أو المكانة الدينية عند الناس فليس له من حجه إلا التعب وخسارة المال لكن إن أخلص وبرّ في حجه كان الجزاء مضاعفاً.

كيف يجاهد العبد نفسه على تحقيق الإخلاص؟

١- أن يُراقب العبد نفسه، ويوقفها عند كل عمل، مستحضراً التوجُّه به لله:

قال الحسن: "كان الرجل إذا همَّ بصدقةٍ، تثبت، فإن كان لله مضي وإن خالطه شك أمسك" (٣)

وقال سلمان: "اذكر ربك عند همِّك إذا هممت، وعند حكمك

(١) رواه ابن ماجه والنسائي وإسناده صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) - تفسير الطبري، وفتح القدير للشوكاني.



إذا حكمت " (١)

٢- أن تستشعر دائماً أن الناس لا ينفعون ولا يضررون:

فوجب أن نقطع اعتبارهم، ونعمل للذي ينفعنا.

٣- دعاء الله تعالى، وسؤاله الإخلاص، والاستعانة به:

فليكثر العبد من قوله: اللهم ارزقني الإخلاص في القول والعمل " أو كما كان النبي ﷺ يعلم أصحابه أن يقولوا: - وذلك لَمَّا حذَّره الرياء، وأرشدهم ماذا يقولون- " اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه " (٢)

٤- الإكثار من أعمال الخير والعبادات غير المشاهدة، وإخفاؤها:

كقيام الليل، وصدقة السر، والبكاء خالياً من خشية الله، وصلاة النوافل، والدعاء للإخوة في الله بظهر الغيب، والله عز وجل يحب العبد التقي، النقي، الخفي، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الله يحب العبد التقي، النقي، الخفي " (٣)

(١) - بلوغ الإرب بتقريب كتاب الشعب.

(٢) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه مسلم.



٥- أن تتذكر دائماً أن الرياء محبطٌ للعمل:

فبالله وحده، ثم بالخوف من حبوط العمل، نجا أهل العلم والإيمان من الرياء وحبوط العمل، فعن محمد بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ "، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: " الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء " (١)

٦- مصاحبة الأخيار المخلصين:

فقد قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَنَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الكهف: ٢٨]



(١) أخرجه أحمد في المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) مجاهدة النفس على تحري الصدق والتحلي به

• لأن: " الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكُذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكُذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا" (١)

فليت شعري، من المكتوب صديقًا، حتى نهته، ومن المكتوب كذابًا، حتى نعزيه؟

• لأن الصدق دليل الفضائل والكمال وعنوان الرقي والجمال:

لا يستغنى عنه عالم ولا حاكم ولا قاضٍ ولا تاجر ولا رجل ولا امرأة ولا صغير ولا كبير، ما داموا جميعًا يعيشون في مجتمع مسلم، وما وقعت الأمة في الضنك والشقاء الذي تحياه الآن، إلا يوم كُفِّنَ الصَّدَقُ وَدُفِنَ.

(١) متفق عليه.

• ولأن الصدق أخو الإخلاص: وسبب قبول الطاعات عند الله،
وعليه يترتب الأجر يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ
الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

قال أبو حاتم: " الصدق يرفع المرء في الدارين، كما أن الكذب
يهوي به في الحالين، ولو لم يكن الصدق خصلة تُحمد إلا أن المرء
إذا عُرف به قُبِلَ كذبه وصار صدقاً عند من يسمعه، لكان الواجب
على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه حتى يستقيم له على
الصدق ومجانبة الكذب، والعي في بعض الأوقات خير من النطق،
لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعي خير منه " (١)

وقد لخص الماوردي رَحِمَهُ اللهُ، دواعي الصدق فقال:

- ١- العقل: من حيث كونه موجبا لقبح الكذب.
- ٢- الشرع: حيث ورد بوجوب اتباع الصدق وحظر الكذب،
والله سبحانه لم يشرع إلا كل خير.
- ٣- المروءة: لأنها مانعة من الكذب باعثة على الصدق.

(١) روضة العقلاء.



٤- حبّ الاشتهار بالصدق: فمن يتمتّع بهذا الاشتهار بين الناس، لا يردّ عليه قوله، ولا يلحقه ندم. (١)

أنواع الصدق ومعانيه:

١- الصدق في النية: وهو ألا يكون هناك باعثٌ على العمل إلا الله - وهذا رابط الصدق بالإخلاص - ولهذا يُقال لمن لم يُخلص نيته لله: إنه كاذب، كما وصف الله تعالى الثلاثة المرأين بالكذب، وهم من هم؟ عالم، وشهيد، وجواد، قال الله تعالى لكل منهم: كذبت، وذكر النبي ﷺ: أنهم أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة. (٢)

٢- الصدق في القول: وهو الصدق في الأخبار، والخبر إما أن يتعلق بالماضي، فلا يخبر الإنسان عن الأشياء بخلاف ما هي عليه، وإما أن يتعلق بالمستقبل، فإذا وعد بشيءٍ وفي بوعده وصدق في عهده.

قال تعالى ﴿وَأَذِّرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا

نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ [الرعد: ٥٤]

(١) أدب الدنيا والدين.

(٢) رواه مسلم.



وقال ﷺ: " اضمنوا لي ستاً أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم... " (١)

الصدق في القول حتى ولو قصد الإنسان مزاحاً، فقد قال النبي ﷺ: " أنا زعيم بيت في الجنة، لمن ترك الكذب ولو كان مازحاً.. " (٢)

وقال ﷺ: " ويلٌ للذي يُحدث بالحديث ليضحك به القوم، فيكذب، ويلٌ له ثم ويلٌ له " (٣)

٣- الصدق في العمل: وهو أن يُصدّق العبد أقواله بأفعاله.

بأن يجاهد نفسه في أن تكون سريرته وعلانيته واحدة، وألا تدل أعماله الظاهرة على شيء وفي باطنه شيء آخر.

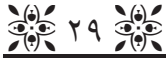
قال بعضهم: "اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق، قيل وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع" (٤)

(١) رواه أحمد والحاكم والبيهقي وانظر صحيح الجامع.

(٢) رواه أبو داود وحسنه الألباني.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(٤) - مدارج السالكين.



وحديث طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَجَسَّدُ هَذَا الْمَعْنَى، قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرِ الرَّأْسِ نَسَمِعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، وَصِيَامَ شَهْرٍ رَمَضَانَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرَهَا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ، قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ" (١)

❖ صدق أعرابي:

عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ثُمَّ قَالَ: أَهَاجِرٌ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ، غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبِيًّا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرَعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفْعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا هَذَا فَقَالَ: "قَسَمْتُهُ لَكَ" قَالَ: مَا عَلَيَّ هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنْ اتَّبَعْتُكَ

(١) متفق عليه



عَلَى أَنْ أُرْمَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ
 قَالَ: "إِنَّ تَصَدَّقَ اللَّهُ يَصُدُّكَ فَلَبِثُوا قَلِيلًا" ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ
 فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
 "أَهُوَ هُوَ" فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَّقَهُ" ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ
 فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ
 عَلَيْهِ: "اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقَتِلْ شَهِيدًا أَنَا
 شَهِيدٌ عَلَيْهِ" (١)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على تحري الصدق؟

الصدق شاق على النفس، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

"فَحِمْلُ الصِّدْقِ كَحِمْلِ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، لَا يُطِيقُهُ إِلَّا أَصْحَابُ
 الْعَزَائِمِ، فَهُمْ يَتَقَلَّبُونَ تَحْتَهُ تَقَلُّبَ الْحَامِلِ بِحِمْلِهِ الثَّقِيلِ، وَالرِّيَاءِ
 وَالْكَذِبِ خَفِيفٌ كَالرِّيشَةِ لَا يَجِدُ لَهُ صَاحِبَهُ ثِقَلًا الْبَتَّةَ" (٢)

ولكن مع هذا، فإن المرء إذا جد وجاهد أدرك وعد الله
 للمجاهدين: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:

(١) رواه النسائي وصححه الألباني.

(٢) مدارج السالكين.



١- أن يستحضر رقابة الله: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة: ٧]، إن إيمان المرء بأن الله عز وجل معه، يبصره ويسمعه، يدفعه إلى الخشية والتحفظ.

٢- الخوف من النفاق: من أعظم الدوافع إلى الصدق، لأن النبي ﷺ قال: " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب...." (١)

ولهذا قسم الله تعالى الناس إلى صادق ومنافق، فقال: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٤]

٣- مصاحبة الصادقين: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩] أي: اصدقوا والزموا

(١) متفق عليه.



الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم، ومخرجا. (١)

٤- الدعاء: لما كان حمل النفس على الصدق في جميع أمورها شاقاً عليها، ولا يمكن لعبد أن يأتي به على وجهه إلا بإعانة الله له وتوفيقه إليه، أمر الله نبيه ﷺ أن يسأله الصدق في المخرج والمدخل، فقال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠].



(١) تفسير ابن كثير.

(٣) مجاهدة النفس على العطاء والبذل

• لأن المال من أعظم محبوبات النفس، فمن قدم محبوب الله على ما يحب، فأعطى من ماله للمحتاجين ونَصَرَ الدين، وفقه الله تعالى لأعمالٍ صالحة وأخلاقٍ فاضلة، لا تحصل له بدون ذلك، وهيئاً الله له من أسباب التيسير ما لا يخطر على باله.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنبَرُهُ لِلْيَسْرَى ﴿٧﴾ ﴾ [الليل: ٥-٧]

وقال تعالى ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقد فقه الصحابة هذا التوجيه الرباني، فتنازلوا عما يحبون لله، فكان الواحد منهم إذا زاد حبه بشيءٍ بذله لله رجاء نيل هذا البر.

❖ فيها هو أبو طلحة رضي الله عنه: "كان أكثر الأنصار مالاً بالمدينة، وكان أحب ماله إليه بئرحاء، فلما نزل قول الله تعالى: ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ



حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿ وَإِنْ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرِحَاءَ، وَإِنَّمَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ،
أَرْجُو بَرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ
اللَّهُ...." (١)

❖ زيد بن حارثة: لما نزلت هذه الآية قال: " اللهم إنك تعلم أنه
ليس لي مالٌ أحبُّ إليَّ من فرسي هذه " وجاء إلى النبي ﷺ، وقال:
هذه في سبيل الله، فقال له النبي ﷺ: " قد قبلها الله منك " (٢)

❖ وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: تَلَوْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ
حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ فَذَكَرْتُ مَا أَعْطَانِي اللَّهُ، فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا
أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ جَارِيَتِي رَضِيَّةَ، فَقُلْتُ: هِيَ حُرَّةٌ لَوْ جِئْتُ اللَّهَ (٣)، وَعَلَى
هَذَا الدَّرَجِ سَارَ كَثِيرٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَصَالِحِيهَا.

❖ الربيع بن خثيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ يَقُولُ لِأُمِّ وَلَدِهِ:
أَعْطِ السَّائِلَ سَكْرًا، فَإِنَّ الرَّبِيْعَ يَحِبُّ السَّكْرَ!

قال سفيان: يتأول قول الله عز وجل: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا

(١) رواه البخاري.

(٢) - تفسير الطبري.

(٣) - الحاكم في المستدرک، تاريخ الاسلام الذهبي.



التربية بالمجاهدة

تُحِبُّونَ ﴿١﴾

ولأن الأمر كما قال الله: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُقِلُّونَ ﴿١﴾ [الحشر: ٩]

فمن رغب في النجاة فليكن من أهل العطاء، ومن رغب في الفلاح فليكن من أهل البذل والجود؛ قال سبحانه: ﴿ فَأَتُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقِلُّونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلَيْهِ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٨﴾ [التغابن: ١٦ - ١٨]

ولأن قدوتنا ﷺ، كان أجود الناس:

❖ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة " (٢)

(١) - فيض القدير المناوي ج ٤ ص ٢٩١.

(٢) متفق عليه.



❖ وعن موسى بن أنس عن أبيه قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ، فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يُعطي عطاءً من لا يخشى الفقر" (١)

❖ وعن سهل بن عبد الله: "جاءت امرأةٌ ببردٍ، قال: أتدرون ما البردُ؟ فقيل له: نعم، هي الشملة، منسوجٌ في حاشيتها. قالت: يا رسول الله، إنني نسجتُ هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال رجلٌ من القوم: يا رسول الله، اكسنيها، فقال: نعم، فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه، لقد علمت أنه لا يرُدُّ سائلاً. فقال الرجل: والله ما سألتُهُ إلا لتكونَ كفني يومَ أموتُ، قال سهل: فكانت كفته" (٢)

❖ وقال النبي ﷺ: " لو أن لي مثل أحد ذهباً ما يسرني إلا يمرّ عليّ ثلاث وعندي منه شيء، إلا شيء أرصده لدين" (٣)

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.



كيف يجاهد الإنسان نفسه على البذل والعطاء؟

١- أن يعلم الإنسان أن المالَ مالُ الله، وقد استخلف عباده فيه، ليرى كيف يعملون، ثم هو سائلهم عنه إذا قدموا بين يديه: من أين جمعوه؟ وفيهم أنفقوه؟ فمن جمعه من حِلِّه وأحسن الاستخلاف فيه، فصرفه في طاعة الله ومرضاته، أثيب على حسن تصرفه، وكان ذلك من أسباب سعادته، ومن جمعه من حرام أو مما فيه شبهة أو أساء الاستخلاف فيه فصرفه فيما لا يحل، عوقب، وكان ذلك من أسباب شقاوته.

وفي الحديث القدسي: " إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحب أن يكون له ثابن، ولو كان له واديان لأحب أن يكون له ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب " (١)

٢- أن يعلم الإنسان أن البذل والعطاء إنما يبارك المال، ويزيد الرزق:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾ [سبا: ٣٩].

(١) أخرجه أحمد والطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع.



وفي الحديث القدسي: " يا ابن آدم أنفق ينفق عليك " (١)
 وقال ﷺ: " ما فتح عبدٌ بابَ عطية، صدقة أو صلة، إلا زاده الله
 بها كثرة " (٢)

٣- أن يعلم الإنسان أن البذل والعطاء وقايةٌ من النيران، وسبيلٌ
 لدخول الجنان:

فقد قال النبي ﷺ لعائشة: " يا عائشةُ استتري من النار ولو بشق
 تمر " (٣)

يا جامعَ المالِ في الدنيا لو ارثه

هل أنتَ بالمالِ بعد الموتِ متنفِعُ؟

قدّمَ لنفسِكَ قبلَ الموتِ في مَهَلٍ

فإنَ حظَّكَ بعدَ الموتِ منقطعٌ

فما أعظمَ نجاتك وفرحتك إذا خرجتَ من قبرك وقد سترتَ

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) صحيح الترغيب والترهيب.



التربية بالمجاهدة

عورات المسلمين، وفرجتَ كربات عباد الله المنكوبين! يوم أن
تخرج إلى الله بتلك الحسنات العظيمة والأجور الكريمة!



(٤) مجاهدة النفس على الانشغال بعيوبها عن عيوب غيرها

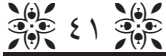
• لأن الإنسان لو أبصر عيوب نفسه، لشغله ذلك عن عيوب الناس.

• ولأن الإنسان مطالبٌ بإصلاح نفسه أولاً، وسيُسأل عنها قبل غيرها، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [هود: ١٠٨]، وقال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]

فالمراء إن كان عاقلاً ورعاً أشغله عن عيوب غيره ورعه كما العليل السقيم أشغله عن وجع الناس كلهم وجعه

• ولأن من تتبع عورة الناس، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، فضحه ولو في قعر بيته، كما قال رسول الله ﷺ: "يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِلسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانَ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ" (١)

(١) صحيح سنن أبي داود.



التربية بالمجاهدة

• ولأن الانشغال بعيوب الناس علامة على أن المنشغل محشو بالعيوب، كما قال رسول الله ﷺ: " يَبْصُرُ أَحَدُكُمْ الْقَدَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَنْسَى الْجِدْعَ فِي عَيْنِهِ " (١)

مثل ضربه النبي ﷺ لقوم انشغلوا بعيوب غيرهم عن عيوبهم، اهتموا وبحثوا عن أخطاء غيرهم، وتناسوا أخطاءهم، حتى أن أحدهم يرى القذى، - وهو أقل ما يقع في العين مما لا يشعر به إلا صاحبه - في عين أخيه، ولا يرى الجذع في عينه، وإن المدقق في عيب الآخرين الأعمى عن عيب نفسه، لهو أنقص من غيره، إذ لو كان أكمل من غيره، لاشتغل بعيوب نفسه فأصلحها وسدّ عن نفسه باباً مفتوحاً يوصل إلى عذاب القبر وهو باب الغيبة، وهتك أعراض الناس.

وقد سمع أعرابي رجلاً يقع في الناس، فقال له: " قد استدلت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس، لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها " (٢)

(١) رواه ابن حبان وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) - بهجة الميجاس ابن عبد البر.



وعن محمد بن سيرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا نُحَدِّثُ أن أكثر الناس خطايا، أفرغهم لذكر خطايا الناس " (١)

وقال عاصم النبيل: لا يذكر الناس فيما يكرهون إلا سفلة لا دين لهم " (٢)

قيل للربيع بن خثيم: ما نراك تغتاب الناس؟ قال: لست عن حالي راضياً حتى أفرغ لذم الناس، وأنشد يقول:
لنفسي أبكي لست أبكي غيرها

لنفسي من نفسي عن الناس شاغل (٣)

وفي الحلية عن يحيى بن آدم قال: سمعت شريكاً يقول: سألت إبراهيم بن آدهم عما كان بين علي ومعاوية، فبكى فندمت على سؤالي إياه، فرفع رأسه، فقال: إن من عرف نفسه اشتغل بنفسه ومن عرف ربه اشتغل بربه عن غيره. (٤)

(١) - الصمت ابن أبي الدنيا.

(٢) - الجزء من جنس العمل ج ٢ ص ٢٩٠ نقلاً عن بهجة المجالس.

(٣) مجموعة البحوث والمقالات العلمية. علي نايف الحشود ص ١١.

(٤) الحلية لأبي نعيم.



✓ بصيرة

اعلم أُخَيَّ: أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً بَصَّرَهُ بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخفَ عليه عيوبه، فإذا عرف العيوب انشغل بها وأمكنه علاجها، ولكنَّ أكثرَ الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم.

كيف يعرف الإنسان عيوب نفسه؟

قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۗ﴾ [القيامة: ١٤].

١- أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس، مطلع على خفايا الآفات، فيُحَكِّمُه في نفسه، ويتَّبَعُ إشارته في مجاهدتها وهذا شأن طالب العلم مع شيخه والتلميذ مع أستاذه، فيعرفه أستاذه وشيخه عيوبَ نفسه وطرقَ علاجها، وإن كان ذلك قد عزَّ وجوده في هذا الزمان.

٢- أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً، فينصِّبه رقيباً على نفسه، ليلاحظ أقواله وأحواله وأفعاله، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الظاهرة والباطنة نبَّهه عليها، وهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين.



كان عمر رضي الله عنه يقول: " رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوبي " (١)
 وكان يسأل سلمان عن عيوبه، ويقول: ما الذي بلغك عني مما
 تكرهه؟ (٢)

وكان يسأل حذيفة ويقول له: أنت صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 المنافقين، فهل ترى عليّ شيئاً من آثار النفاق؟ (٣) [وهو خير منهما]
وانقلبت الموازين:

أصبح أبغضُ الخلق إلينا من ينصحنا ويصّرننا بعيوبنا، ويّتهم
 بالحسد والتدخل فيما لا يعني، ويكاد ذلك أن يكون مفصحاً عن
 ضعف الإيمان، فإن الأخلاق السيئة حيّات وعقارب لدّاغة، فلو
 نبّهنا منبّهً على أن تحت الثوب عقرباً، لتقلدنا منه منةً وفرحنا به
 واشتغلنا بإزالة العقرب وإبعادها وقتلها، وإنما نكايّتها على البدن،
 يدوم ألمها يوماً فما دونه، ونكايّة الأخلاق الرديئة على صميم
 القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبداً، ثم إننا لا نفرح بمن ينبهنا

(١) - إحياء علوم الدين .

(٢) - المصدر السابق .

(٣) - المصدر السابق .



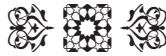
عليها، ولا نشتغل بإزالتها، بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته! فنقول له: وأنت تصنع كيت وكيت، وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه، ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب، وأصل كل ذلك ضعف الإيمان.

٣- أن يستفيد معرفةً عيوب نفسه من السنة أعدائه، فإن عين السخط تبدى المساويا.

٤- أن يخالط الناس، فكلُّ ما رآه مذموماً في الخلق، ينبغي أن يجتنبه بعد أن ينسبه إليهم، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه.

قيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟

قال: ما أدبني أحد! رأيت جهل الجاهل شيناً فاجتنبته. (١)



(١) - أدب الدنيا والدين / الماوردي، والآداب الشرعية لابن مفلح.

(٥) مجاهدة الكلام بالصمت

• لأن الكلمة قد تكون قاتلة!

قد تكون مدمرة مهلكة!

ففي الحديث أن النبي ﷺ، قال: " إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار " (١)

وفي حديث بلال بن الحارث، أن رسول الله ﷺ، قال: " إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عز وجل عليه بها من سخطه إلى يوم يلقاه " قال علقمة: "كم من حديث منعني حديث بلال هذا" (٢)

وقال معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قلت يا رسول الله، أكلُّ ما نتكلم به يُكتب علينا؟ قال: ثكلتُك أمك، وهل يكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(٢) صحيح ابن ماجه.



التربية بالمجاهدة

إلا حصائدُ ألسنتهم؟ إنك لم تزل سالمًا ما سَكَتَ، فإذا تكلمتَ
كُتِبَ لك أو عليك " (١)

• لأن اللسان سلاح ذو حدين: فباللسان نذكر الله، ونقرأ كتابه،
وبه نصير مفاتيح خير، مغاليق شر، وفي الوقت ذاته، كم بهذه الألسنة
عُبد غيرُ الله وأشرك به؟ كم بهذه الألسنة أرحام قُطعت، وأوصال
تحطمت، وقلوب تفرقت، ودماء نزفت؟ كم بهذه الألسنة قُتل أبرياء
وطُلقت نساء ونُهبت أموال وقذفت محصنات؟

وهنا قال الله: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]
﴿ يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤].

وفي الصحيحين قال ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر،
فليقل خيراً أو ليصمت "

وكان ﷺ طويل الصمت قليل الضحك. (٢)

وكان ﷺ لا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه. (٣)

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني.

(٢) حسنه الألباني في المشكاة.

(٣) مختصر الشمائل للألباني.



• لأن نبينا ﷺ رغبنا في الصمت إلا من خير، وحذرننا من الكلام إلا من نفع.

في الصحيحين قال ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: "أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك" (١)

وقال ﷺ: "من صمت نجا" (٢)

قال الغزالي رحمته الله: "من تأمل جميع آفات اللسان، علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك يعرف سر قوله ﷺ: "من صمت نجا" لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب، وهي على طريق المتكلم، فإن سكت سلم من الكل، وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه، إلا أن يوافق لساناً فصيحاً وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة، ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك، وهو مع جميع ذلك لا

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.



التربية بالمجاهدة

ينفك عن الخطر، فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم،
فكن ممن سكت فسليم، فالسلامة إحدى الغنيمتين" (١)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أفضل العبادة الصمت، وانتظار
الفرج (٢)

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع،
وإن أكثرت منه قتل. (٣)

وقال لقمان لولده: يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم،
فافتخر أنت بحسن صمتك.

وكان بعضهم يقول: تعلم الصمت كما تتعلم الكلام، فإن يكن
الكلام يهديك فإن الصمت يقيك، ولك في الصمت خصلتان:

١ - أن تأخذ به علم من هو أعلم منك.

٢ - أن تدفع به عنك جهل من هو أجهل منك (٤)

(١) إحياء علوم الدين، بتصريف يسير.

(٢) - البيان والتبيين للجاحظ.

(٣) - السابق.

(٤) - جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر.



وعن بكر بن أبي عياش قال: أدنى نفع السكوت: السلامة، وكفى بها عافية، وأدنى ضرر المنطق الشهرة، وكفى بها بلية. (١)

وعن وهيب بن الورد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كان يقال: الحكمة عشرة أجزاء: فتسعةٌ منها في الصّمت، والعاشرَةُ عزلة الناس. (٢)

كان أعرابي يجالس الشعبي، فوجده يطيل الصمت، فسئل عن طول صمته، فقال: أسمع فأعلم، وأسكت فأسلم.

وقالوا: لو كان الكلام من فضة، فإن السكوت من ذهب!
الصمت زينٌ والسكوتُ سلامةٌ فإذا نطقتَ فلا تكن مكثاراً
فلئن ندمتَ على سكوتك مرةً فلتندمَنَّ على الكلام مراراً

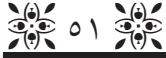
كيف يجاهد الإنسان نفسه على الصمت؟

١ - استشعار العبد دائماً أنه مؤاخذٌ بكلامه، محاسبٌ عليه، وأن لسانه شاهد عليه.

٢ - استشعار العبد أن الكلمة قد تُغيّر مساره في الدنيا والآخرة.

(١) - سير أعلام النبلاء.

(٢) الصمت لابن أبي الدنيا.



التربية بالمجاهدة

٣- الاقتداء بالرسول ﷺ الذي كان لا يتحدث إلا للضرورة والفائدة، وكان لا يؤذي أحداً بكلامه.

٤- اجتناب الثنارين، والابتعاد عن مجالسهم.

٥- أن تعلم أن المرء يظل كبيراً حتى إذا تكلم ظهرت حقيقته، وكان يقال: تكلموا تُعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه.

٦- قف بقلبك قبل أن تتكلم " حدد لرجلك قبل الخطو موضعها "

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا

يُبْدِي عِيوبَ ذَوِي الْعِيوبِ الْمُنْطِقُ



(٦) مجاهدة النفس على ترك الكلام فيما لا يعني

• لأن النبي ﷺ قال: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" (١)

فالمسلمون منقسمون في الإسلام إلى قسمين، كما دلَّ عليه فحوى هذا الحديث، فمنهم المحسن في إسلامه ومنهم المسيء، فالمحسن من انشغل بما يعنيه من أمور دينه الظاهرة والباطنة، وما لا بد منه من أمور دنياه، والمسيء من انشغل بما لا يعنيه.

وما لا يعنيه الانسان: هو ما لا يُهمه ولا يفيد في دينه ودنياه، من شئون الآخرين وخصوصياتهم، في كفيات معاشهم ومقدار تحصيلهم من الدنيا وتفاصيل أحوالهم في أنفسهم وأولادهم ومشكلاتهم، ونحو ذلك.

قال الحافظ ابن رجب: "ومعنى هذا الحديث: أن من حسن إسلامه ترك ما لا يعنيه من قولٍ وفعلٍ، واقتصر على ما يعنيه من

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.



التربية بالمجاهدة

الأقوال والأفعال، ومعنى يعنيه: أن تتعلق عنايته به، ويكون من مقصده ومطلوبه" (١)

كيف رأى السلف هذا المعنى، وكيف عملوا بهذا الحديث؟

قال الدارقطني: أصول الأحاديث أربعة: الأعمال بالنيات، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والحلال بين والحرام بين، وازهد في الدنيا يحبك الله. (٢)

وقال الشافعي: وعمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية

اتق الشبهات، وازهد، ودع ما ليس يعينك، واعمل بنية (٣)

دخلوا على أبي دُجانة في مرضه، ووجهه يتهلل، ف قيل له: ما لوجهك يتهلل يرحمك الله، فقال: ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنتُ لا أتكلم فيما لا يعينني، وكأن قلبي سليماً للمسلمين. (٤)

(١) جامع العلوم والحكم.

(٢) - الأشباه والنظائر.

(٣) - الكاشف عن حقائق السنن.

(٤) - الصمت ابن ابى الدنيا.



حُكِيَّ عَنْ أَحَدِهِمْ: أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَطْلُقَ زَوْجَتَهُ لِأَمْرٍ مَا، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَطْلُقُهَا؟ قَالَ: لَا أَهْتِكِ سِتْرَ زَوْجَتِي، ثُمَّ طَلَقَهَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ طَلَقْتَهَا؟ قَالَ: مَا لِي وَلِلْكَلامِ عَنْ امْرَأَةٍ صَارَتْ أَجْنَبِيَّةً عَنِّي، فَمِنْ حَسَنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ.

وَعَنْ يَعْلى بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ، فَقَالَ: أَحَدْتُكُمْ بِحَدِيثٍ لَعَلَّهُ يَنْفَعُكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ نَفَعَنِي، قَالَ لَنَا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: " يَا بَنِي أَخِي، إِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ فُضُولَ الْكَلَامِ، وَكَانُوا يَعُدُّونَ فُضُولَ الْكَلَامِ مَا عَدَا كِتَابَ اللَّهِ أَنْ تَقْرَأَهُ، أَوْ تَأْمُرَ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ تَنْطِقَ بِحَاجَتِكَ فِي مَعِيشَتِكَ الَّتِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْهَا، أَتُنْكِرُونَ؟ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَفِظِينَ ﴿١٦﴾ كَرَامًا كَتَبِينَ ﴿١٧﴾ [الانفطار: ١١]، ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ [ق: ١٧]، ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِينٌ ﴿١٨﴾ [ق: ١٨] أَمَا يَسْتَحِي أَحَدُكُمْ أَنْ لَوْ نُشِرَتْ عَلَيْهِ صَحِيفَتُهُ الَّتِي أَمْلَى صَدْرَ نَهَارِهِ كَانَ أَكْثَرَ مَا فِيهَا لَيْسَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ " (١)

قال الحسن البصري: من علامة إعراض الله عن العبد، أن يجعل

(١) الصمت لابن أبي الدنيا، والزهد لهناد السري، وموعظة المؤمنين، لجمال الدين القاسمي.



التربية بالمجاهدة

شغله فيما لا يعنيه. (١)

وقال ذو النون: " من تكلف ما لا يعنيه ضيَّع ما يعنيه " (٢)

وقال مورق العجلي: " أمّر أطلبه منذ عشر سنين، لم أقدر عليه، ولست بتارك طلبه، قالوا: ما هو يا أبا المعتمر؟ قال: الصمت عما لا يعنيني " وهذا نوع من مجاهدة النفس بترك الكلام فيما لا يعني. (٣)

حسان بن سنان: مرّ يوماً على غرفة، فقال: متى بُنيت هذه الغرفة؟ ثم أقبل على نفسه وقال: تسألين عما لا يعينك لأعاقبك بصوم سنة، فصامها. (٤)

إن المجتمع الرباني الذي ينشئه الإسلام، لا مجال فيه لقليل وقال، وكثرة السؤال، والتدخل في شؤون الناس الخاصة، لأن أفرادهم مشغولون بما هو أجل وأكبر، إنهم مشغولون بتحقيق كلمة الله في الأرض، ورفع راياته فوق الربوع، ونشر قيمه بين الناس، والذين ينهضون بهذه الأعمال الجسام، لا يجدون وقتاً للخوض في تلك

(١) التمهيد لابن عبد البر.

(٢) - شعب الايمان للبيهقي.

(٣) - الصمت.

(٤) - شعب الإيمان.



الآثام.

كيف يجاهد الإنسان نفسه على ترك الكلام فيما لا يعنيه؟

١- أن يستعين بالله، ويدعوه، ويتضرع إليه:

فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: "أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز" ولا تفرط في طلب ذلك، ولا تتعاجز عنه متكلاً على القدر، فتُنسب للتقصير، وتُلام على التفريط شرعاً وعادة. (١)

٢- استفراغ الوسع في معرفة ما يعني المرء والانشغال به، فمن عرف ما يعنيه ولزمه أو شك أن يترك ما لا يعنيه.

٣- محاسبة النفس على الدوام.

٤- مصاحبة الجادين الأخيار المشتغلين بما يعينهم، فإنه على قدر ضرر صحبة البطالين تكون ضرورة صحبة الجادين، الذين لا غنى للمرء عنهم في سلوك الطريق المستقيم.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.



التربية بالمجاهدة

٥- إحياء روح التناصح بين المؤمنين، بتبنيه بعضهم بعضاً عند حدوث تطفل أو فضول أو تدخل فيما لا يعني، وهذه ثمرة من ثمار مؤاخاة الأخيار الجادين.

٦- الإقبال على القرآن الكريم، تلاوةً وحفظاً تدبراً وعملاً وتحاكماً، وكفى بكتاب الله شغلاً.

٧- تذكر الموت والحساب والجزاء، واستشعار العبد أنه في مرحلة، سيُجازى بعدها بما عمل فيها.

من راقب الموت لم تكثر أمانيه ولم يكن طالباً ما ليس يعنيه



(٧) مجاهدة النفس على حفظ اللسان من الغيبة

• لأن أكثر الناس حتى الخواص منهم والامتدنيين، يقعون فيها وهم لا يشعرون.

وخطورتها أنها تأكل حسنات العبد، وتُقَسِّي قلبه، وتُذهب دينه، وتُعريه يوم القيامة!

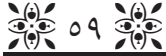
قال الحسن البصري: والله للغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في الجسد. (١)

وقال أيضاً: "يا ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان، حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب في نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا (٢)

وقال له رجلٌ: إن فلاناً اغتابك، فبعث إليه الحسن رطباً على

(١) - الزواجر عن اقتراف الكبائر: الهيثمي.

(٢) - الزواجر عن اقتراف الكبائر: الهيثمي.



التربية بالمجاهدة

طبق، وقال: قد بلغني أنك أهديت إليّ من حسناتك، فأردتُ أن أكافئك، فاعذرني فإنني لا أقدر أن أكافئك على التمام. (١)

وقال بعض السلف: لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والديّ، فهما أحق الناس بحسناتي (٢)

وكان عمر يقول: عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس، فإنه داء. (٣)

● ولأن أكثر الناس لا يعرفون معناها على الحقيقة، حتى أنها أشكلت على بعض الصحابة، حين سألهم النبي ﷺ يوماً، قائلاً: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: الغيبة: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته " (٤)

ولهذا قالوا: إذا أسأت إلى شخصٍ في حضوره، فقد شتمته.

(١) - إحياء علوم الدين.

(٢) - الأذكار للنووي.

(٣) - الزواجر عن اقتراف الكبائر.

(٤) رواه مسلم.



وإذا أسأت إليه في غيابه بما فيه، فقد اغتبتته.

وإذا أسأت إليه في غيابه بما ليس فيه، فقد بهتته.

وإذا نقلت الإساءة، منه أو إليه، فقد نممته.

ولأن العلماء قد أجمعوا على أن الغيبة كبيرة من الكبائر، يجب

التوبة منها على الفور.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]

وقال ﷺ: " يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا

تغتابوا المسلمين ولا تظهروا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع

الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته " (١)

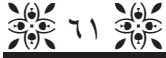
وقال ﷺ: "أندرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا

درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة

بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال

هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطي هذا من حسناته وهذا من

(١) صحيح سنن أبي داود.



حسناته، فإن فُيئت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم
فطُرحت عليه ثم طُرِحَ في النار " (١)

كفارة الغيبة:

كفارة الغيبة: التوبة بترك هذا الذنب، والندم على فعله، والعزم
على عدم العودة إليه، وبما أن الغيبة تتعلق بالعباد، فإن استطعت أن
تذهب إلى أخيك الذي اغتبتَه فتتحلّل منه، تقول له: يا أخي
سامحني، أو تقف في مجلس عام، وتقول: يا إخواني سامحوني، ومع
ذلك، تذكر من اغتبتَه بحُسنٍ، كما ذكرته بسوء، وتستغفر له.

وأنت يا أُخِيَّ إذا بلغك عن إنسان أنه قد اغتابك، فخذ بالعفو،
كما قال ربنا: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿١٩٩﴾
[الأعراف: ١٩٩]

ماذا لو سمعت من يذكر أخاك بالسوء؟

١. لا تبسم في وجهه، ولا تفتح له أذنيك.
٢. ذكره بتقوى الله، مره بالمعروف، وانته عن المنكر، وفارق
مجلسه، واذكر قول النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الناس إذا رأوا

(١) رواه مسلم.



الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك الله أن يعمَّهم بعقابٍ من عنده" (١)

وقال ﷺ: " من ردَّ عن عرض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة " (٢)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على التخلص من الغيبة؟

١- انشغل بعيوبك.

٢- لا تنس جهاز التسجيل الدائم:

اجتمع سفيان الثوري يوماً بأصحابه فقال لهم: " أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا، قال: فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله " (٣)

٣- الخوف من الله.

٤- حافظ على رصيدك ليوم القيامة.

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

(٣) ذم الهوى.

(٨) مجاهدة النفس على حفظ البصر

● لأن من غَضَّ بصره أنار الله بصيرته: ونور البصيرة يسير به
العبد إلى الله سيراً جميلاً.

قال أحد السلف: من عمَّرَ ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن الحرام، ونفسه عن الشهوات، واعتاد الحلال، لم تُخطئ فراسته. (١) أي هُدي إلى الحق في كل شيء بإذن الله.

● لأن الله أمر بذلك المؤمنين والمؤمنات، على حدٍ سواء:

قال تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠] وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿ [النور: ٢٩]

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير هذه الآية: " فالنظر داعية

(١) - الداء والدواء.

إلى فساد القلوب" (١)

قد يظن البعض أن غض البصر تضيق على النفس، وتحريج على الناس في حرياتهم التي يرون أنها من التمتع المباح بمباهج الدنيا، ولكن المتأمل في حكمة التشريع يرى في ذلك الهدي القرآني توسيعاً على الخلق وخيراً لهم عندما يُعَوِّضون عن ذلك سلامة الصدر وصحة القلوب.

جاء في صحيح مسلم، أن جرير بن عبد الله، سأل رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة؟ فقال: " اصرف بصرك " .

وفي حديث عليّ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: " لا تُتَّبِعِ النظرَةَ النظرَةَ، فإنما الأولى لك، وليست لك الثانية " (٢)

قال قيس بن حازم: " كان يقال: النظرَةُ الأولى، هي التي لا يملكها صاحبها " وهي في تعداد الزمن لحظة، فهي النظرَةُ التي لا دخل للإنسان فيها، فإذا تمت هذه النظرَةُ وجب غض البصر، فإذا نظرت بعدها، أتعبت نفسك وعصيت ربك ودامت حسرتك.

(١) - مجموع الفتاوى.

(٢) رواه أبو داود وسنده صحيح.



التربية بالمجاهدة

ما زلت تُتبع نظرةً في نظرةٍ في إثر كل مليحةٍ ومليح
وتظن ذلك دواءً جرحك وهو في التحقيق تجريح على تجريح
فذبحت طرفك باللحاظ وبالبا فالقلب منك ذبيح أي ذبيح
بل جعل النبي ﷺ النظرة المحرمة من قبيل الزنا - عياداً بالله - ففي
الصحيحين عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: " كُتِبَ عَلَى ابْنِ
آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزَّانَا، فَهُوَ مَدْرُكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزَنَا الْعَيْنِينَ النَّظْرَ، وَزَنَا
اللِّسَانَ الْمُنْتَظِقَ، وَالنَّفْسَ تَهْوَى وَتَتَمَنَّى، وَالْفَرْجَ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ
يَكْذِبُهُ " (١)

بل إن النبي ﷺ نهى عن الجلوس في الطرقات لهذا السبب،
فقال: " إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا: ما لنا بُد، إنما هي
مجالسنا، نتحدث فيها، فقال: رسول الله ﷺ: " فإذا أبيتم إلا
الجلوس، فأعطوا الطريق حقه " قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟
قال: غَضُّ البصر [فبدأ به فإذا وقفت في طريق الناس فغص بصرك
عن نساء الناس واعلم أن الله يراك] وكفُّ الأذى، ورد السلام،
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " (٢)

(١) واللفظ لمسلم.

(٢) متفق عليه.



فأين نحن من هذه الحقوق الواجبة؟ هل إذا مررنا بطريق الناس أو وقفنا فيه نغض أبصارنا؟ هل نكف الأذى؟ هل نرد السلام؟ هل نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؟

● ولأن البصر نعمة: وغض البصر من قبيل شكر هذه النعمة، والعبء إن لم يشكر نعم الله عليه، إما أن يُعذَّب بها، أو يُحرَمَها، ولكن إن شكرها زاده الله نعماً على نعمه ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

فالبصر نعمة من أجلِّ النعم، فهل سرت يوماً في طريق فشاهدت فاقد البصر؟ هل تذكرت ما أنت فيه من نعمة؟ هل حمدت الله عليها؟ إذن لماذا تستخدمها في معاصي الله؟ أما تستحيي من الله؟ ولقد عرف سلفنا عليهم السلام هذه النعمة، فحفظوها حتى حفظها الله عليهم.

فعن حسان بن سنان رضي الله عنه، أنه خرج يوم العيد، فلما رجع قيل له: يا أبا عبد الله، ما رأينا عيداً أكثر نساءً منه، فقال: سبحان الله، ما تلقنتني امرأة حتى رجعت. (١)



التربية بالمجاهدة

وعن وكيع قال: خرجنا مع سفیان الثوري في يوم عيد، فقال: إن أول ما نبدأ به في يومنا غضُّ أبصارنا. (١)

ولأن إطلاق البصر من أوسع مداخل الشيطان:

فالبصر جارحة لا تُملاً ولا تكتفي، بخلاف البطن فإنها متى امتلأت لم يكن لها في الطعام إرادة، وأما العين فلو تُركت لم تفتّر عن النظر أبداً، وبالنظرة يدخل جند الشيطان القلب ليجاور جند الإيمان، لكن الشيطان ملحاحٌ ومخادع، يظل يتربص بالعبء ويزين له ويُلبس عليه، إلى أن يحتل القلب كله، فيا صاحبي: لا تجعل للشيطان عليك سيلاً.

ولأن النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس: فمن غض بصره أورثه الله تعالى حلاوة يجد طعمها في قلبه.

ولأن أشباه يوسف قد قَلُّوا أو قُلُّ نَدُرُوا:

أما أشباه امرأة العزيز فقد أطلن من شاشات الشاشات، وعجّت بهن الطرقات، فيا يوسف هذا العصر استعصم، ولا يغرّنك كثرة الهالكين، وجاهد نفسك في الله حتى تستقيم لك، فإن استقامت

(١) - حلية الأولياء.



فداوم على جهادها حتى تألف طريق الاستقامة.

ولأننا مسئولون عن أبصارنا يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

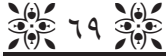
[الإسراء: ٣٦] فهل أعددنا لهذا السؤال جواباً؟

بل إن الله تعالى يهددنا بتهديد عظيم إن لم نطع أمره ونذعن لحكمه، فيقول: ﴿ قُلْ أَدَّبْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴾ [الأنعام: ٤٦]

ولأن النظر أصل عامة الحوادث:

فإن النظرة تولد خطرة، والخطرة تولد فكرة، والفكرة تولد شهوة، والشهوة تولد إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع من وقوعه مانع، لذلك قيل: " الصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده " (١)

فما سرق السارق إلا بعد نظر، وما سخط الساخط إلا بعد نظر، وما ظلم الظالم إلا بعد نظر، وما انتهكت حرمت الله جميعاً إلا بعد نظر!



كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
 كم نظرة بلغت من قلب صاحبها ك مبلغ السهم بين القوس والوتر
 والعبد ما دام ذا طرفٍ يقلبه في أعين الغير موقوفٌ على الخطر
 يسُرُّ مقلته ما ضَرَّ مهجته لا مرحباً بسرورٍ عاد بالضرر
 ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: أن رجلاً كان يلزم مسجداً للأذان، وكان
 عليه بهاءُ الطاعة وأنوار العبادَةِ، فرقى يوماً المنارة كعادته للأذان،
 وكانت تحت المنارة دارٌ لنصراني، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب
 الدار، فافتتن بها، فلما انتهى من الأذان نزل إليها ودخل الدار عليها،
 فقالت: ما شأنك وما تريد؟ قال: سلبت لبي وأخذت بمجامع قلبي،
 قالت: لا أجيبك إلى ريبة أبداً، قال: أتزوجك، قالت: أنت مسلمٌ
 وأبي لا يزوجني منك، قال: أتنصر، فقالت: إن فعلت أفعل، فتنصّر
 ليتزوجها، وأقام معهم في دارهم، فلما كان هذا اليوم صعد على
 سطح كان في الدار ليقضي لهم حاجة، سقط ميتاً، فلم يظفر بها،
 وفات دينه " (١)

(١) - الداء والدواء، والكبائر للذهبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور
 الآخرة: القرطبي.



فلا هو نال ما أراد ولا هو ثبت على دينه المراد!!!
وكنت متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كلُّه أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر^(١)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على حفظ البصر؟

١- استعن بالله:

فلن تتمكن من تهذيب شهوتك، ولن تقدر على غض بصرك، إلا
بإعانة الله لك، قل كما قال يوسف: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ
وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣٣) [يوسف: ٣٣].

٢- راقب ربك:

فإذا سرت في طريق من الطرق، أو في الجامعة أو.... فتذكر أن
ربك مطلع عليك، ناظر إليك، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا
تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١٩) [غافر: ١٩].

قال ابن عباس: هو الرجل يكون في القوم، فتمر بهم المرأة،

(١) - روضة المحبين: ابن القيم، أدب الدنيا والدين: الماوردي.



فيريهم أنه يغض بصره عنها، فإن رأى منهم غفلة، نظر إليها، فإن خاف أن يفتنوا إليه غض بصره، وقد اطلع الله من قلبه أنه يودُّ أن ينظر إليها" (١)

سئل الجُنيد: بم يُستعانُ على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظرَ الله إليك أسبقُ إلى ما تنظر إليه. (٢)

٣- اجتنب رفقاء السوء:

الذين يهربون من الله! الذين يُفضّلون الأرصفة والشوارع على بيوت الله! ثم سرّ في طريق الالتزام مع تلك القلوب النقية، مع الوجوه الطيبة النيرة، مع الألسنة النظيفة الرطبة الذاكرة من أهل الخير والصلاح، فالمرء على دين خليله.

٤- اعلم أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه:

من ترك النظرة المحرمة خوفاً من الله تعالى ورغبةً في ثوابه عوضه الله خيراً من ذلك، في الدنيا بحلاوة يجدها سراعاً في قلبه وفي الآخرة بالحدود العيون.

(١) - ذم الهوى: ابن الجوزي.

(٢) - كلمة الإخلاص: ابن رجب.



فإن قيل: إن الأمر شاق، أجاب ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعادات فضلاً عن المحرمات من تركها لغير الله، أما من تركها لله صادقاً مخلصاً، فإنه لا يجد في تركها مشقة، إلا أول وهلة، لِيُمتحن أصادقٌ هو في تركها أم كاذب، فإن صبر على تلك المشقة قليلاً، تحوّلت إلى لذة" (١)

٥- الخوف من الله وتعلق القلب بالآخرة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "إذا سكن الخوف القلوب أحرق فيها مواضع الشهوات" (٢)

وقال رَحِمَهُ اللهُ: "ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله، وعينٌ كفت عن محارم الله" (٣)

٦- ما تريد غير موضع قدمك؟

فأثناء سيرك، ما الداعي إلى الالتفات يميناً ويساراً، فإن النبي رَحِمَهُ اللهُ قال: "بحسب ابن آدام لقيمات يقمن صلبه" (٤)

(١) - الفوائد.

(٢) - مدارج السالكين.

(٣) صحيح الترغيب والترهيب.

(٤) رواه أحمد والترمذي وغيرهما وصححه الألباني.



فكما أن اللقيمات يُقمن صلبك، فكذلك النظر أمام قدميك
يرشدك في طريق سيرك.

٧- الزواج أو الصيام:

يقول ﷺ: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج،
ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء " (١) أي: وقاية من
الفتن.

فإن قيل: أصوم ولا أجد تغيراً؟

الجواب: اتهم نفسك، وصم بصدق، صم بجوارحك كما يحب
الله ورسوله.

٨- الإكثار من السنن والنوافل:

فقد جاء في الحديث القدسي أن الله تعالى قال: "ولا يزال عبدي
يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع
به، وبصره الذي يبصر به... " (٢)، أي لا يُبصر إلا ما يُرضي الله.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.



٩- الصبر على غض البصر:

فوالله ما أحلى مرارة الصبر في سبيل الله! وما ألدَّ نتيجته! إذ قال
تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

٦- تذكر الحور العين:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " إن في الجنة حوراء، لو بَرَّقت في البحر
لَعَذَّبَ ماؤه كله، مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلي،
فليعمل بطاعة ربي عز وجل " (١)



(١) - التذكرة للقرطبي.

(٩) مجاهدة النفس على تعلم الهدى ودين الحق

• لأن العلم نور به يرى العبد حقائق الأمور، فيُهدى من الظلمات إلى النور.

• ولأن العلم من أهم الخطوات في طريق السير إلى الله، ومن لم يصحبها من أول قدم يضعها في الطريق إلى آخر قدمٍ ينتهي إليها، فسلكه على غير الطريق.

• ولأنه طريق الجنة، كما قال ﷺ: " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة "

• ولأننا لو سألنا أنفسنا: ماذا نعلم عن الله ورسوله؟

هل نعلم هدى النبي ﷺ في اعتقاداته، في عباداته، في صلاته وصيامه وزكاته ومعاملاته؟

هل نعلم أحكام الحج ومسائل البيوع والشراء؟

هل نعلم أحكام الزواج والطلاق؟



ماذا نعلم عن أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى؟

ماذا نعلم عن القرآن ومراميه، وآياته ومعانيه؟

إذن لا بد أن نأخذ القرار الصواب، بمجاهدة النفس على التعلم عن الله ورسوله، فبالعلم يعبد المسلم ربه على بصيرة، وبالعلم تتهدب الأخلاق ويسير العبد إلى ربه سيراً صحيحاً.

ومن المؤسف: أن بعض الناس يعرف طريق الحق، ويسلك سبيل الرشاد، ويجهل ما لا يسع المسلم جهله وهو ما يُسمى "فروض الأعيان"، وهي ما لا تصح العقيدة إلا بها، ولا تصح العبادة إلا بها، ولا يصح السلوك والتصور والفكر إلا بها.

قد تقول: أنا مشغول!

وهل شغلنا إلا الدنيا؟

نروح ونأتي لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي

تموت مع المرء حاجاته ويمنعه الموت ما يشتهي

فإن قلت: أنا مقصر!

أقول لك: ومن منا قد سلم من التقصير؟ ولكن إلى متى سيستمر

هذا التقصير؟ وهل ستلقى به الله؟



التربية بالمجاهدة

إذن بادر بملازمة دروس العلماء، وحضور مجالس طلاب العلم
الموثوق في علمهم وعملهم، وارتبط ببعض البرامج العلمية
الموثوقة.

فإن قلت: الوقت ضيق! (والشغل) يُرهقني وعندي زوجة
وعيال!

قلت لك: أنت لا تريد!!

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيبٌ سوانا

وقد نهجوا الزمان بغير عيب ولو نطق الزمان بنا هجانا

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ نَمًّا أَنْزَلَ إِلَهُكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد: ١٩].

وقال ﷺ: " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " (١)

والفقه في الدين: أن نعقل ونفهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

(١) رواه الشيخان.



حكمَ ما يعرض لنا من مشكلات، في أحكام وعبادات ومعاملات، وما يعرض علينا من فتن وملِّمات حتى نتجنبها ونأخذ طريق النجاة.

لأن الناس ثلاثة: قال عليّ رضي الله عنه: "الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلمٌ على سبيل النجاة، وهمجٌ راعٍ، أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، ومحبة العلم دين يداين الله به" (١)

اعتناء السلف بتحصيل العلم ومجاهدتهم أنفسهم على ذلك:

- قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم؟ قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبرٍ كصبر الحمار، وبكورٍ كبكور الغراب. (٢)

ما أعظم همتهم! وما أشد شوقهم! طافوا الدنيا لتحصيل العلم، يوم لم يكن هناك طائرة ولا قطار ولا سيارة ولا باخرة، فأين شباب الأمة اليوم من هذه الهمم؟

- عبد الرحمن بن القاسم: أحد تلاميذ مالك والليث بل هو تلميذ

(١) - إيقاظ أولي الهمم العالية: عبد العزيز السلطان.

(٢) - سير أعلام النبلاء للذهبي.



مالك المبرِّز، قال: كنت آتي مالكاً بعكس، فأسأله عن مسألتين أو ثلاثة، وكنت أجد منه في ذلك الوقت انشراح صدر، فكنت آتي كل سحر، فتوسدت مرة عتبه، فغلبتني عيني فنمت، وخرج مالك إلى المسجد ولم أشعر به، فجاءت جارية سوداء فركضتني برجلها، وقالت لي: إن مولاك قد خرج، ليس يغفل كما تغفل، له اليوم تسع وأربعون سنة قلما صلى الصبح إلا بوضوء العشاء. (١)

فالعاقل يجاهد نفسه، ويتسابق إلى طلب المعالي، إلى جنة عرضها السموات والأرض، ويختار لنفسه طريقاً موثقاً إلى الجنة. فمن منكم يتتدب نفسه، لهذه المهمة، التي قال فيها بعض السلف: من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم.

كيف يجاهد الإنسان نفسه على تعلم العلم؟

هناك طريقتان لو حرص الإنسان عليهما، لملك مفاتيح العلم:

الأولى: سؤال أهل العلم:

كما قال تعالى ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء ٧].

(١) - ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض.



وأهل الذكر من تحقق فيهم شرطان:

أولهما: العلم، والمراد به الدليل.

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان العلم ما كان فيه حدثنا وما سواه فوسواس الشياطين فمن فارق الدليل فقد ضل سواء السبيل، ولا دليل إلى الله والجنة سوى الكتاب والسنة، وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي طريق الجحيم والشيطان الرجيم.

وثانيهما: الخشية، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس العلم عن

كثرة الحديث إنما العلم الخشية" (١)

الطريقة الثانية: الحرص على مجالس العلم والمواظبة عليها.

فهم القوم لا يشقى جليسهم، والمعرض عنهم بغير عذر معرض عن الله، عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل نفر ثلاثة، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد، قال: فوقفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما

(١) - طريقك إلى الإخلاص والفقہ في الدين: عبد الله الرحيلي.



التربية بالمجاهدة

أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ" (١)

قال الشعبي: " لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة حكمة، ما رأيت أن سفره ضاع " (٢)

من لزم هاتين الطريقتين، عرف الطريق، واجتهد في طلب العلم، وأحبه، ورغب في تحصيله ابتغاء مرضاة الله تعالى، وبذل جميع الأسباب في الوصول إليه.

وقد جاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه، فقال: إني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيّعه، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: "كفى بتركك له تضييعاً" (٣)

(١) متفق عليه.

(٢) -الآداب الشرعية لابن مفلح، جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر.

(٣) جامع بيان العلم وفضله.



(١٠) مجاهدة النفس على العمل بدين الحق

• لأن الأمة الآن صارت عالمةً - نسيباً - بما لها وما عليها، فلا تكاد ترى أحداً يقترب جرماً أو يقع في محذور، فأردت أن تنصحه، إلا وبادرك قائلاً: (فاهم.... عارف.... أفهم... أعلم)!

فإن ذكرته بحديث أكمله، وإن وعظته بآية بيّنها لك!

فأين العمل؟ وهو المقصود من العلم والغاية من تحصيله؟ أين الاستجابة؟ أين الاستسلام؟ أين اتباع النبي ﷺ؟

أُخِيَّ: منذ متى وأنت تسمع عن الله؟ كم خطبة حضرت؟ كم كتاباً قرأت؟ كم نصيحة سمعت؟ كم أمراً امتثلت؟ كم نبيّاً اجتنبت؟

ينبغي أن يُترجم هذا العلم للواقع، أن يُخرجه الإنسان من قرار القلب إلى القلب، ومن الأقوال إلى الأفعال، يتمسك به ويطبّقه ويلتزمه، ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ [الزخرف: ٤٣]

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ



بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ [النور: ٥١]

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ أي: إن تقوه، وهو معنى العمل بالعلم، يُعَلِّمَكُمُ عِلْمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، فمن عمل بما علم، ورثه الله علم ما لم يعلم.

واعتبر بحديث النفر الأربعة، وكن في أفضل المنازل، واحذر أن تكون في أخبث المنازل، فعن أبي كبشة الأتماري، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوَزُرُهُمَا سَوَاءٌ " (١)

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول: " اللهم إني

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.



أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع،
ومن دعوة لا يُستجاب لها" (١)، فإن العلم النافع - الذي هو أعظم
أركان الحكمة التي من أوتيتها فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً - هو ما كان
مقروناً بالعمل، أما العلم بلا عمل، فهو حجة على صاحبه يوم
القيامة.

وقال النبي ﷺ: "القرآن حجة لك أو عليك" (٢)، لك إن عملت
به، وعليك إن لم تعمل به، فهذه هي ثمرة العلم ونتيجته، فحامل
العلم كالحامل لسلاحه، إما له وإما عليه.

اعتناء السلف ﷺ بالعمل بالعلم:

عن ميمون بن مهران: قال أبو الدرداء: ويُلِّ لمن لا يعلم مرة،
وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات (٣)

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم: قال الله عز وجل: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ
لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فما لنا ندعوا فلا يستجاب لنا؟ فقال إبراهيم:

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم

(٣) - اقتضاء العلم العمل: الخطيب البغدادي.



من أجل خمسة أشياء، قال وما هي؟ قال: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا به، وقلتم: نحب رسول الله وتركتم سنته، وقلتم: نلعن إبليس وأطعمتموه، وتركتم عيوبكم وأخذتم في عيوب الناس" (١)

وَعَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو قَلَابَةَ:

"إِذَا أَحَدَّثَ اللَّهُ لَكَ عِلْمًا فَأَحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ" (٢)

وقال فضيل بن عياض: لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالمًا. (٣)

وعن معروف الكرخي قال: إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً فتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العمل" (٤)

(١) - موارد الظمان لدروس الزمان: عبد العزيز السلطان.

(٢) جامع بيان العلم وفضله.

(٣) - اقتضاء العلم بالعمل.

(٤) - اقتضاء العلم بالعمل.



وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يقعدون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتى أن الرجل ليغضب على جلسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل" (١)

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "لا تكون تقيّاً حتى تكون عالمّاً، ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً" (٢)

وقال الإمام الذهبي رحمته الله: "فمن طلب العلم للعمل كسره العلم، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء تحامق، واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العُجب، ومقتته الأنفس" (٣)

(١) جامع بيان العلم وفضله.

(٢) جامع بيان العلم وفضله.

(٣) سير أعلام النبلاء.



وإنما حملهم على العمل، أنهم كانوا يخشون المسألة:

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع.... وعن علمه ماذا عمل به " (١)

يقول أبو الدرداء: من يزدد علماً يزدد وجعاً (٢)

وكان يقول: إنني أخاف أن يقال لي يوم القيامة: أعلمت أم جهلت؟ فأقول: علمت، فلا تبقى آية أمرة أو زاجرة، إلا جاءني تسألني فرضيتها، فتقول الأمرة: هل ائتمرت؟ وتقول الزاجرة: هل ازدرجت؟ (٣)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على العمل بالعلم؟

١- أن يكون الإنسان مدركاً تمام الإدراك، أن العلم ليس مقصوداً لذاته، ولكنه مقصودٌ لغيره، فالعلم وسيلة العمل الموصلة إليه.

٢- استشعار الإنسان دائماً سؤال الله تعالى له عن العمل بالعلم.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) - جامع بيان العلم وفضله.

(٣) - جامع بيان العلم وفضله.



٣- معرفة العبد أن العلم بلا عمل، حجة على صاحبه يوم القيامة، وهو أحد تفسيرَي قول الله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]، كما لا يستوون في الفضل والمثوبة، كذلك لا يستوون في العقوبة.

وكما قيل: وعالم بعلمه لم يعمل معذبٌ من قبل عبّاد الوثن

٤- صاحب من يعينك على العمل.

٥- لا تنس الغاية من وجودك في هذه الحياة وهي إفراد الله بالعبادة وتحقيق رضاه.

وقد يقول قائل: ما أجمل الكلام ولكن ما أصعب العمل، نقول: ولكن ما أسهل العمل ولكن إذا صدقت وعزمت.

قبورنا تُبنى ونحن ما تبنا فياليتنا تُبنا قبل أن تُبنى
كلنا يعلم ولكن من يعمل فياليتنا نعمل حينما نعلم



(١١) مجاهدة النفس على تعليم الغير الهدى ودين الحق

• لأن هذا من باب العمل بالعلم، تبليغه، وإفادته، فمن تركِ العمل به: كتمه ومنعه أهله، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: إنَّ معاذاً كان أمة قانتاً، فقال رجلٌ: يا أبا عبد الرحمن ما الأمة؟ قال: الذي يعلم الناس الخير، فقال: وما القانت؟ قال: الذي يطيع الله، ثم قال ابن مسعود للرجل: إنا كنا نشبّهه بإبراهيم عليه السلام. (١)

فينبغي للعبد أن يجاهد نفسه على طلب العلم، والعمل بما علم، والدعوة إلى العلم والعمل، وتعليم من لا يعلم، ويجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمّل ذلك كلّ لله، فإذا علم، وعمل، وعلم، دُعِيَ عظيماً في ملكوت السماوات.

• ولأنه لا أحسن ممن يدل الناس على الله، ويعلمهم الخير، ويأمرهم بالبر، وينهاهم عن الشر والضّر، وحسبك أن الله تعالى

(١) الحلية، لأبي نعيم.

يقول: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "مقام الدعوة إلى الله من أشرف مقامات التعبد" (١)

والله تعالى يقول: ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٦٧].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: "من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً" (٢)

وقال رَحِمَهُ اللهُ: "بلغوا عني ولو آية" (٣)

وقال رَحِمَهُ اللهُ: "نصّر الله امرأً سمع مقالتي فبلغها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه" (٤)

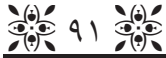
عن شجاع بن الوليد، قال: كنت مع سفيان الثوري، فما يكاد

(١) - الإنسان بين علو الهمة وهبوطها: على نايف الشحود.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.



لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذاهباً
وراجعاً" (١).

● ولأن الدعوة إلى الله واجب على مجموع الأمة:

" فكل واحد من هذه الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما
يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره سقط عنه، وما عجز لم
يُطالب به " (٢)

لأن النبي ﷺ قال: " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم
يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان " (٣)

وفي سورة العصر كفاية: وَغْنَى لِأَصْحَابِ الْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ.

قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١-٣]،
قال الشافعي: " لو فُكِّرَ النَّاسُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَّتْهُمْ " (٤)

(١) - ٣٠ طريقة لخدمة الدين: رضا صمدي.

(٢) - مجموع الفتاوى.

(٣) - رواه مسلم.

(٤) - مفتاح دار السعادة.



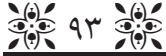
● ولأنها مع وجوبها، سبيل النجاة، النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجُوا جَمِيعًا" (١)

وليس عليك غير البلاغ:

لأن أكثر إنما يصدُّهم عن الدعوة والتبليغ، زعمهم أن لا فائدة، قال الله لنبيه: ﴿ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى: ٤٨]، وهذه أعظم فائدة، إعدار النفس والقيام بالواجب، وستتوالى البركات والفوائد، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّهِ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْتُونَ ﴾ [الأعراف ١٦٤]

الدعوة ليست مقتصرة على موعظة المنبر:

فالإنكار على الفرد على خلوة به إرشادٌ ودعوة، وأعظمُ بها من



دعوة، وإدلال الناس على مجالس العلم دعوة، وتسهيل طرق الدعوة دعوة، ومن أعظم سبل الدعوة القدوة، والسلوك القويم، والأخلاق والعمل.

يحكي أحد الثقات: أنه حضر مجلساً في المسجد للتعارف، فقام شيخٌ وقور يُعرِّف نفسه، وقد جاوز السبعين من عمره، فقال: اسمي فلان، أعمل في التجارة، وعمري الآن تسع سنوات، فاستغرب الناس، وقالوا في دهشة: تسع سنوات؟ قال: نعم، لأنني أحسب عمري منذ تحركت لدين الله، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، أما قبل ذلك فإني أعتبر عمري ضائعاً!

وكان هذا الرجل إذا وقف ليلقي موعظته، يقول: لا تضيعوا أعماركم مثلي، واشتغلوا بالدعوة إلى الله عزوجل. (١)

نسأل الله أن نكون من الداعين لكتابه، العاملين بسنة نبيه ﷺ.

كيف يجاهد الإنسان نفسه على الدعوة إلى الله؟

١ - استشعار فضل الدعوة إلى الله، وأنه لا أحسن منها قولاً على الإطلاق.

(١) - ٣٠ طريقة لخدمة الدين: رضا صمدي.



- ٢- استشعار أن الدعوة إلى الله تضيف للإنسان عمراً آخر، كما جاء في الحديث: " من دل على خير فله مثل أجر فاعله " (١) وقال ﷺ: " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خيرٌ لك من حمر النعم " (٢)
- ٣- اعلم أنك إذا شاركت في الدعوة إلى الله، تكون بذلك قد أعذرت نفسك، وأدبت ما عليك.
- ٤- استعن بالله وابدأ ولا يصدنك الشيطان.
- ٥- أخلص يثبك الله ويفتح بك.



(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(١٢) مجاهدة النفس على الصبر بأنواعه

• لأن الصبر نصف الدين، وطريق التمكين، وصفة المؤمنين على التعيين، وحسبهم قول ربهم: ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وفي هذا أعظم ترغيب للراغبين، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦].

والصبر ثلاثة أنواع، وكل نوع له معناه الخاص به:

١. الصبر على المأمور (الطاعة):

القيام بحق العبودية، والمحافظة عليها، وهو الصبر الأعلى. فمن حققه، حقق النوعين الآخرين، فجميع الطاعات بجميع أشكالها وصورها، تحتاج إلى صبر.

قال تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ [مريم: ٦٦]

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُذَكَ اللَّهُ ﴾ [يونس: ١٠٩]



﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٨]

وفي الحديث: "والصبر ضياء" (١) أي: يضيء الطريق، ويضيء القلب، ويُرضي الرب.

ومن أعظم صور الصبر على طاعة الله: ما كان من خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بأبي هو وأمي، ومن يصبر صبره؟! يأمره الله تعالى بجعل ولده وامرأته في مكان كفرٍ لا أنيس فيه ولا جليس، فيطيع ويصبر، يأمره بذبح ولده فيطيع ويصبر، يُلقى في النار فيصبر!

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما قام أحدٌ بدين الله كله إلا إبراهيم، قدم بدنه للنيران، وطعامه للضيفان، وولده للقربان. (٢)

بل انظر صبرَ ولده، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ۗ قَالَ يَتَأَبَّأُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ۗ وَسَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]

(١) - رواه مسلم.

(٢) - الإنسان بين علو الهمة وهبوطها: علي نايف الشحود.



٢. الصبر عن المحظور (المعصية): كَفُّ النَّفْسِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، وثباتها في مقاومة الهوى والشهوات، فكما أن الطاعة تحتاج إلى صبر في أدائها؛ كذلك المعصية تحتاج إلى صبر في اجتنابها.

﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٥].

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْأَصَابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: " فإن النفس ودواعيها، وتزيين الشيطان، وقرناء السوء، تأمره بالمعصية وتجريه عليها، فبحسب قوة صبره يكون تركه لها، قال بعض السلف: أعمال البر يفعلها البر والفاجر ولا يقدر على ترك المعاصي إلا صديق" (١) وفي الحديث: " يأتي على الناس زمان، الصابر فيه على دينه، كالقابض على الجمر" (٢)، والمعني أنه كما لا يتمكن من القبض

(١) قاعدة في الصبر.

(٢) صحيح الترمذي.



علي الجمر، الا بصبر عظيم وتحمل المشقة، كذلك في هذا الزمان لا يمكن أن نحفظ هذا الدين، وأن نواجه الفتن إلا بصبر عظيم.

والسبب في ذلك كثرة الفتن وانتشار المعاصي والمنكرات، والمجاهرة بها، وجعلها من الأمور العادية، حتى أصبح كثير من الآباء يرون أبناءهم وبناتهم عاكفين على الأفلام والمسلسلات والقنوات الفضائية المليئة بالأغاني والرقص والعري، ولا يحركون ساكناً، وإذا أنكرت منكرًا واحداً من هذه المنكرات العظيمة، سمعت الكلمة الخبيثة التي شبَّ عليها الصغير، وهُرُم عليها الكبير (عادي)!!

قيل لو هيب بن الورد: هل يذوق حلاوة الايمان من عصي؟ قال: ولا من همَّ (١)

قال ميمون بن مهران: الصبر صبران، صبر على المصيبة، وأفضل منه الصبر عن المعصية (٢)

الصبرُ مثلُ اسمه مرَّ مذاقُهُ لكن عواقبُهُ أحلى من العسل

(١) - الجامع لشعب الإيمان.

(٢) - عدة الصابرين: ابن القيم.

٣. الصبر على المقدور (البلاء):

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

عزى بعض السلف في مصيبة، فقال: ما لي لا أصبر، وقد وعدني الله مع الصبر ثلاث خصال، كل خصلة خير من الدنيا وما فيها. (١)
وفي الحديث: " ما يزال البلاء ينزل بالمؤمن والمؤمنة، في نفسه وولده وماله، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة " (٢)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على الصبر (بأنواعه)؟

١- الاستعانة بالله:

قال الله: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧]

٢- الاستشعار الدائم أنك ما جئت في هذه الدار إلا لعبادة الله

الملك القهار:

(١) - عدة الصابرين.

(٢) صحيح الأدب المفرد.

قال تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ﴾ أي ما عندكم من دنيا وهوي وشهوات ومعاصي ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ أي وما عند الله من الجزاء علي ترك المعاصي وفعل الطاعات، ثم قال: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦]

٣- ملاحظة حسن جزاء الصابرين عند رب العالمين:

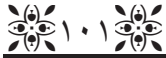
قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ نِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ [الذين صَبَرُوا] ﴿ [العنكبوت: ٥٩]

٤- علم العبد بقبح المعصية وسوء عاقبتها يُصبره عن فعلها.

٥- علم العبد أن الصبر عن المعصية أسهل من الصبر عن عاقبتها.

وبيان ذلك أن امرأة مستحسنة مرّت على رجلين، فلما عرضت لهما، اشتها النظر إليها، فجاهد أحدهما نفسه وغض بصره، فما كانت إلا لحظة ونسي ما كان، وأوغل الآخر في النظر، فعلقت بقلبه، فكان ذلك سبب فتنته وذهاب دينه، وهذا معنى قول بعضهم: "وَلَلصَّبْرِ الْيَوْمَ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى الْأَغْلَالِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ" (١)

(١) الصبر والثواب، لابن أبي الدنيا.



التربية بالمجاهدة

- ٦- أن يعلم العبد أن الدنيا دارٌ بلاءٍ وابتلاء، لا دار نعيمٍ ورخاء.
- ٧- أن يعلم العبد أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة، وأن حلاوة الدنيا هي بعينها مرارة الآخرة.
- ٨- أن يعلم العبد أن تشديد البلاء يخص الأخيار.
- ٩- اليقين بفرج الله.
- قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ﴾ [الشرح: ٦]
- وقال ﷺ: "واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسر" (١)
- ١٠- التأسّي بأهل المصائب.
- ١١- حمدُ الله على أن المصائب ليست في الدين.
- فمن سلم له دينه، فالمِحن في حقه منح، والبلايا عطايا، لكن المصيبة العظمى والكسر الذي لا يُجبر والعثرة التي لا تُقال هي المصيبة في الدين.
- وكل كسر فإن الدين يجبره وما لكسر قناة الدين جبران

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.



(١٣) مجاهدة النفس على معاداة الشيطان

• لأن الله تعالى أمرنا صراحةً باتخاذهِ عدوًّا، لأنه عدوٌّ لنا حقيقة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنْ الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ٥٣ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٦٠ ﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١ ﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ٦٢ ﴾ [يس: ٦٠-٦٢]، وقال تعالى: ﴿ يَبْنَىءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر: ٦]، وقال تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ٥٠ ﴾ [الكهف: ٥٠]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ٩١ ﴾ [المائدة: ٩١]

وقال تعالى - حكايةً عن الشيطان -: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ



التربية بالمجاهدة

﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنبَتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

وفي صحيح مسلم من جابر أن رسول الله ﷺ قال: "إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، ثم يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت".

وقال ﷺ: "إن الشيطان قال: وعزتك يا رب! لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني" (١)

وقال ﷺ: "إن الشيطان قد أيس أن يعبدَه المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم" (٢)، أي: في بث الشحناء والبغضاء في صفوفهم.

وقال ﷺ: "إذا نودي للصلاة، أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا

(١) رواه الحاكم وغيره وانظر الصحيحة.

(٢) رواه مسلم.



يَسْمَعُ التَّائِبِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا تُؤَبَّ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّوْبَةُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى؟"
 إِنِّي ابْتَلَيْتُ بِأَرْبَعٍ مَا سَلَّطُوا عَلَيَّ إِلَّا لِشِقْوَتِي وَعِنَائِي
 إبليس والدينا ونفسي والهوى كيف النجاة وكلهم أعدائي؟
 ✓ لا نجاة إلا بالمجاهدة.

وتتمثل عداوته لنا فيما يلي:

- ١- يريد أن نكفر بالله، ونشرك به.
- ٢- يريد أن نكون معه في السعير.
- ٣- يريد أن يوقعنا في البدع والضلالات.
- ٤- يريد أن يصدنا عن طاعة الله.
- ٥- يريد أن يفسد علينا طاعة الله.
- ٦- يؤذينا فعلاً في أنفسنا وأبداننا.
- ٧- يوقعنا في المعاصي فتقع بسببها بيننا العداوة والبغضاء.
- ٨- يفسد في الأرض ويُقطع الأرحام ويفرق بين الأحبة.



٩- يتخبطنا عند الموت. (١)

كيف يجاهد الإنسان الشيطان؟ كيف يتخذ عدواً؟

١- تصحيح المنهج والاعتقاد والفهم:

باتباع كتاب الله عز وجل، والافتداء بالنبى ﷺ، على منهج السلف الصالح، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: ٤٢].

٢- اجتناب البدع:

وذلك بالعلم ومعرفة السنن، كما جاء في الحديث: " وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة " (٢)

(١) - انظر ذلك بأدلته في كتابي: " سلوكيات مرفوضة "، سلوك: اتباع خطوات الشيطان.

(٢) صحيح أبي داود وغيره.



٣- التزام الجماعة:

أي الصحبة الصالحة، التي تعني بتصحيح المنهج والاعتقاد والفهم والسلوك، قال ﷺ: "فعلیکم بالجماعة، فإنما يأکل الذئب من الغنم القاصية" (١)

٤- تحقيق الإخلاص:

قال تعالى حكايةً عن الشيطان: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٣﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [ص: ٨٣]

٥- الاستعاذة:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٦]

والمقصود: الاستعاذة في مواطنها، وهي كثيرة، منها: عند الإحساس بنزغات الشيطان ووساوسه، وعند الدخول في الصلاة، وعند تلاوة القرآن، وعند الغضب، وعند دخول الخلاء، وعند نباح الكلاب، وعند نهيق الحمير.

(١) صحيح الترغيب والترهيب.



التربية بالمجاهدة

٦- الاستعانة:

وهي خير سبيل للاحتماء من الشيطان وجنده، ومعناها: الالتجاء إلى الله، والاحتماءً بجنبابه، والفرق بين الاستعاذة والاستعانة أن الأولى باللسان، والثانية بالقلب.

٧- قراءة سورتي الفلق والناس:

ففي الحديث: " قل هو الله أحد، والمعوذتين، حين تمسي وحين تصبح، ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء " (١)

٨- قراءة آية الكرسي:

٩- قراءة سورة البقرة:

١٠ - قال ﷺ: " من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يومه مائة مرة، كان له عدلٌ عشرِ رقاب، وكُتِبَ له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به، إلا رجلاً عمل أكثر من ذلك " (٢)

(١) صحيح أبي داود.

(٢) متفق عليه.



وذكر الله عموماً يبعد الشيطان ويُنفِّره:

فقد قال ﷺ: " إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات، أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وذكر منها: وأمركم بذكر الله كثيراً، ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره، حتى أتى حصناً فأحرز نفسه منه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله "



(١٤) مجاهدة الدنيا

• لأن الله تعالى أتى بنا فيها، وحذّرنا منها: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ﴿٥﴾ [فاطر: ٥].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ ﴿٢٠﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ﴿٦٧﴾ [الأنفال: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وقال ﷺ: " أصدق كلمة قالها كبيد: " ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله



باطل" (١)

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، قال: مرَّ رسول الله بالسوق والناس كنفَّتيه، فمرَّ بجدي أسكَّ ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه، ثم قال: أيكم يحب أن يكون له بدرهم؟ قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وماذا نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ فقالوا: والله لو كان حياً لكان عيباً فيه، لأنه أسك، (٢) فكيف وهو ميت؟ فقال: والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم"

وفيه أيضاً، عن عبد الله بن الشخير قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ: ﴿أَهَنْكُمُ الْكَافِرُ﴾، فقال: "يقول العبد مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت".

✓ مجاهدة الدنيا: عدم الاغترار بها، وعدم الجري وراء حطامها، وعدم جعلها غاية، لأننا خلقنا فيها لا لها، وكما قيل:
"الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر، فخذوا من ممركم لمقركم،

(١) رواه مسلم.

(٢) الأسك: مقطوع الأذن.



التربية بالمجاهدة

ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، واخرجوا من الدنيا إلى ربكم، قبل أن يُخرج منها أبدانكم، ففيها جثثم، ولغيرها خلقتهم" (١)

✓ مجاهدة الدنيا: فهم معناها... إدراك حقيقتها.

كان عيسى عليه السلام يقول: "اعبروها، ولا تعمروها" (٢)

وقال ﷺ: "من ذا الذي يبني على موج داراً، تلکم الدنيا فلا تتخذوها قراراً" (٣)

وعن عون بن عبد الله بن عتبة قال: إن من كان قبلکم، كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم، وإنکم اليوم تجعلون لآخرتکم ما فضل عن دنياکم" (٤)

إننا مع شديد الأسف لا نعي ذلك، ندّعي أننا نرجو الله والدار الآخرة، وأننا أمةٌ مجاهدة، والواقع يُكذب ذلك كله، فحب الدنيا مستحکمٌ على القلوب، صارت معاييرنا وتصوراتنا دنيوية بحته،

(١) - العقد الفريد: ابن عبد ربه.

(٢) - كشف الكربة في وصف أهل الغربية: ابن رجب الحنبلي.

(٣) - كشف الكربة في وصف أهل الغربية: ابن رجب الحنبلي.

(٤) - حلية الأولياء.



صار الغرض الترف، والرفاهية، والرخاء، التكاثر، كما قال الله: ﴿لَهُنَّكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۗ﴾ [التكاثر: ١-٢]، فأخبر سبحانه أن التكاثر شغل أهل الدنيا وألهامهم عن الله والدار الآخرة حتى حضرهم الموت.

✓ مجاهدة الدنيا: العلم بحقارتها وهوانها، وعدم تضييع حق من حقوق الله بسببها.

سلمان الفارسي لما أتاه الموت بكى، فقالوا: ما يبكيك؟ فقال: عهد إلينا رسول الله ﷺ عهداً، ما أراني إلا تجاوزته، قالوا: وما عهد إليكم؟ قال: عهد إلينا أن يكون زاد أحدنا كزاد الراكب " (١)

وليس معنى ذلك أن يقال: عش فقيراً، وكن مسكيناً، ولا تفارق المسجد، ولكن المعنى: ألا تتعلق بها ولا تعيش لها.

فلا بأس أن تكون من الأثرياء، ولا حرج أن تجمع من الدنيا ما تشاء، ولكن بشرطين، وكلا الشرطين مرتبطٌ بالآخر لا ينفك عنه وهما:

(١) رواه ابن ماجه والطبراني بسند صححه الألباني.



التربية بالمجاهدة

١- أن تكون من طريق مشروع، لا شبهة فيه، يُقره الإسلام ويرتضيه.

٢- أن تكون هذه الدنيا في يدك لا في قلبك، بحيث إذا طلبت منك في أي وقت، يمكن أن تتنازل عنها، إذا أقبلت عليك لا تفرح، وإذا سُلبت منك لا تحزن؛ فحينئذٍ لن تشغلك عن الآخرة.

قال وَهَبُ بْنُ مُنْبَهٍ: "إنما الدنيا والآخرة، كرجلٍ له امرأتان إذا أرضى إحداهما أسخط الأخرى" (١)

قال معاذ بن جبل: "إن ابتدأت بنصيبك من الدنيا يفتك نصيبك من الآخرة، وعسى ألا تدرك منها الذي تريد وإن ابتدأت بنصيبك من الآخرة، يمرُّ بك على نصيبك من الدنيا فينتظم لك انتظاماً، ثم يدور معك حيثما تدور" (٢)

قد نادت الدنيا على نفسها لو كان في الخلق من يسمع
كم واثقٍ بالعيش أهلكته وجامع فرقت ما يجمع

(١) - جامع العلوم والحكم: ابن رجب.

(٢) - المطالب العالية: أحمد بن حجر العسقلاني.



كيف يجاهد الإنسان الدنيا؟

١- أن تعرف مقام الدنيا عند الله وعند رسوله ﷺ.

فمقامها وضيع بكل معاني الكلمة، قال تعالى: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وقال ﷺ: " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء " (١)
وقال ﷺ: " الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، وعالمًا، ومتعلمًا " (٢)

٢- أن تعرف أن الركون إليها ليس من أخلاق الصالحين:

قال تعالى: ﴿ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْآمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٣]

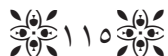
وقال ﷺ: " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " (٣)

٣- ضع الآخرة نصب عينيك، واعرف قدرها، وعظم رغبتك فيها:

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

(٣) رواه مسلم.



التربية بالمجاهدة

عن فضالة بن عبيد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة - وهم أصحاب الصُّفَّة - حتى يقول الأعراب: هؤلاء مجانين، فإذا صلى رسول الله، انصرف إليهم، فقال: " لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقةً وحاجةً " (١)

٤- اعلم أن اليأس ممَّا في أيدي الناس دواءً لمرض الدنيا (٢).

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١]

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس، فقال: " ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس " (٣)

٥- الإكثار من الإنفاق والصدقات:

فذلك مما يهون الدنيا في عين العبد، ويُرغِّبه فيما عند الرب.

(١) - رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني.

(٢) - لذة العبادة: خالد السيد روشه.

(٣) - رواه ابن ماجه وصححه الألباني.



قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُوقِ سُخَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٩﴾
[الحشر: ٩].

٦- تأمل هذين الحديثين، ففيهما غنى وهدوء وشبع:

الأول: قوله ﷺ: " من كانت الآخرة همّة، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا أكبر همّة، جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قُدّر له " (١)

والثاني: قوله ﷺ: " يقول الله تعالى: " ابن آدم تفرغ لعبادتي، (٢)
أملأ صدرك غنى وأسدّ فقرك، وإن لم تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم
أسدّ فقرك " (٣)



(١) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) ومعنى "تفرغ لعبادتي" أي اقطع جزءاً معلوماً محدداً من وقتك لطاعة ربك، لا يترحم هذا الجزء شيء.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني.

(١٥) مجاهدة النفس الأمانة بالسوء بالمحاسبة

• لأن المحاسبة مطلب شرعي، وأمر ضروري:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلِيقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفٰلِقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ١٨-٢٠]

قال ابن كثير: " أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ما ادّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم " (١)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣] أي: إلا من رحم الله تعالى ووقفه، فأخذ بأسباب النجاة، وعلى رأسها المحاسبة.

(١) - تفسير ابن كثير.

• ولأن من اهتم بمحاسبة نفسه خفَّ الحساب يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ
يَوَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا
مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]

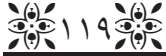
وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ
وَسَوَّاهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة: ٦]

وقال تعالى: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء: ١٢٣]

قال الحسن البصري: " المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة..." (١)

فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب، خفَّ في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، ومن لم يحاسب نفسه من الآن دامت حسراته، وطالت يوم القيامة وقفاته.

(١) - إغاثة اللفهان ابن القيم.



التربية بالمجاهدة

اعتناء السلف رضي الله عنهم بالمحاسبة قولاً وعملاً:

• قال الحسن: " إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظٌ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته " (١)

• قال ميمون بن مهران: " لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشدَّ محاسبة من الشريك لشريكه الخوان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك " (٢)

• وعن عمر بن الخطاب أنه قال: " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية " (٣)

• قال مالك بن دينار: " رحم الله عبداً قال لنفسه: أأست صاحبة كذا؟ أأست صاحبة كذا؟ ثم ذمَّها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل فكان لها قائداً " (٤)

(١) - إغاثة اللفهان.

(٢) - إغاثة اللفهان.

(٣) - مدارج السالكين.



• وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى بستانٍ له، فرجع وقد صلى الناس العصر، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فاتتني صلاة العصر في الجماعة، أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة، لتكون كفارة لما صنع. (١)

والمحاسبة معناها: أن تنظر في نفسك، وتأملها، وتعرف عيوبها، وتعمل جاهداً على إصلاحها، فالتحسن المتواصل هدفٌ سامٌ لنا نحن المسلمين، ولا يعتبر لوم النفس ومحاسبتها ضعفاً كما يظن بعضهم، بل هو علامة الصحة وبداية الهوى. (٢)

المحاسبة أن ينظر العبد في رأس المال، وفي الربح، وفي الخسران، لتبين له الزيادة من النقصان، فرأس المال هو الفرائض والربح هو السنن والنوافل والخسران هو الذنوب والمعاصي، فانظر ما الذي ينجيك غداً فالزمه وداوم عليه، وما الذي يهلكك غداً فاتركه واقطع نفسك عنه.

(١) - الزواجر عن الكبائر الهيثمي، الكبائر للذهبي.

(٢) - تربية الذات محمد حامد الناصر.



التربية بالمجاهدة

واعلم أن المحاسبة نوعان:

محاسبة قبل العمل، ومحاسبة بعده:

١- قبل العمل: أن يقف الإنسان مع نفسه قبل أي عمل وقفه،
ليسأل نفسه لماذا هذا العمل؟ لماذا أتكلم؟ لماذا أسكت؟ لماذا
أفعل؟ لماذا أترك؟ لماذا أحب؟ لماذا أبغض؟ لماذا أعطي؟ لماذا
أمنع؟ لماذا؟ لماذا؟!!

هل تتبغى بعملك وجه الله؟ سؤال عن الإخلاص، فرحم الله
عبداً وقف عند عمله، إن كان لله أمضاه، وإن كان لغير الله أوقفه
وأنهاه.

ثم هل أديت العمل على هدي رسول الله ﷺ؟ سؤال عن
المتابعة، فالله تعالى لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً صواباً،
فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.

٢- بعد العمل: أن يقف الإنسان مع نفسه بعد أي عمل وقفه،
فإن رأى خيراً حمد الله، وإن رأى نقصاً أو تقصيراً زاد وأكمل وأتم،
وإن رأى أنه وقع في معصية تاب وأناب وعزم ألا يعود، هذه هي
المحاسبة التي بها ينجو العبد بين يدي الله.

- المحاسبة الصادقة ترسم صورة للمستقبل.



- في المحاسبة تمرين للنفس على التحكم في الشهوات.
- المحاسبة فرصة للمراجعة.
- المحاسبة تنمي المهارات ولا تهدر الطاقات.
- المحاسبة تحافظ على العمر.

الإهمال في المحاسبة هو سبب الانتكاسة والفتور والرجوع إلى

الوراء:

فما ضعف الإخلاص واستشرى الرياء، وما حلَّ الحسد والبغي،
إلا بسبب إهمال النفس الأمانة بالسوء، وتركها لتنال شهواتها، في
المال والترأس والمدح والتعاضم!

فكن لنفسك وقافاً ورادعاً، وكن لها حارساً وزاجراً، فالنفس
هي مركز الاهتمام والاتهام، وهي البداية والنهاية.

فمن صح إيمانه؛ علم أن عدوه الحقيقي الأول هو نفسه، فإذا
انتصر عليها، غلب أيَّ قوة، وانتصر في أيِّ معركة!!!

ألم يقل الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

[الرعد: ١١]

إننا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى يُدني من الأجل



التربية بالمجاهدة

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً فإنما الربح والخسران في العمل

كيف يجاهد الإنسان نفسه على المحاسبة؟

لا سبيل - والله أعلم - إلى المحاسبة الصحيحة، إلا إذا كان بين يدي العبد وِرد (جدول) محاسبة، ينظر فيه يومياً، ليرى ما قدم وما أخرج، وما أسرَّ وما أعلن، ليتمكن من التغيير والإصلاح، خصوصاً في سنوات الاستقامة الأولى، فلربما يسير بعد ذلك سيراً جميلاً بلا حاجة إلى النظر في ذلك.

وإليك هذا النموذج الذي يمكنك أن تزيد فيه أو تنقص أو تُعدّل

(حسب استطاعتك):





التربية بالمجاهدة

١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
															الصلاة على النبي ١٠٠
															الباقيات ١٠٠
															سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ١٠٠
															حوقلة ١٠٠
															الرواتب



١٥	١٤	١٣	١٢	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
															الصدقة اليومية
															الدعاء
															حفظ اللسان
															غض البصر
															حفظ الوقت
															قيام الليل
															الدعوة إلى الله



(١٦) مجاهدة النفس على التخلص من الهوى

• لأن اتباع الهوى من أعظم الآفات التي قد يُصابُ بها المسلم،
فانظر حولك:

- ترى أناساً يمدحون أموراً ثم يذمونها، ويعيبون أشياء ثم يفعلونها، ويعيبون فلاناً؛ لأنه فعل كذا، وإذا وُضع أحدهم مكانه عمل ما كان يعيبه وزيادة!!

- ترى أناساً يتبنون أفكاراً معينة؛ لأنها صادرة عن فلان ولو قالها غيره ردُّوها ولم يقبلوها!!

- ترى شخصاً يقول قولاً أو يعمل عملاً ظاهر العيب واضح الخطأ، ومع ذلك يستميت في الدفاع عنه، ويذكر مبررات يضحك منها عامة الناس قبل خواصهم!!

- ترى إنساناً يقول ما يشاء ويفعل ما يشاء!!

وما ذاك إلا لأن صاحب الهوى لا يرى إلا هواه، إذا تكلم فهوى، وإذا صمت فلهوى، وإذا فعل أو ترك فلهوى، لأنه يعيش في



محيط هواه الذي أضله وأعماه، بل أسره وقيده!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: " المحبوس من حُبس قلبه عن ربه، والمأسور من اتبع هواه " (١)

ولأن الهوى سببٌ لفساد الأمور وتقلب الأحوال:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [المؤمنون: ٧١]

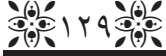
ولأن الهوى يقود صاحبه إلى الضلال:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦]

ولأن الهوى يصد عن الحق، ويحرم صاحبه الانتفاع بالوعظ:

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَرَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ

(١) - الوابل الصيب ابن القيم ص ٤٨ نقلاً عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى.



التربية بالمجاهدة

بَعْدَ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال علي: "إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان، طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فيُنسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق" (١)

ولأن الهوى سببٌ لفساد الرأي والفكر والوقوع في التناقض:

ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ﴿٢٨﴾ أي: ضياعاً [الكهف: ٢٨].

ولأن الهوى سبب الفرقة والشقاق:

ولأن الهوى سببٌ في البعد عن السنة والنطق بالبدعة:

ولهذا كان النبي ﷺ يستعيز بالله من الهوى، ويحذر أمته منه، فقد كان ﷺ يقول: "اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء" (٢)

وكان يقول: "ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب

(١) - الدا والدواء.

(٢) - صحيح الترمذي.



المرء بنفسه " (١)

وذكر النبي ﷺ أن أفضل الجهاد جهادُ الهوى، فقال: " أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه " (٢)

كيف يجاهد الإنسان الهوى؟

١- خشية الله تعالى، ومراقبته في القول والعمل والسر والعلن.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ﴾ [النازعات: ٤١]

٢- استحضار عواقب اتباع الهوى، وآثاره السيئة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا تناقضٌ وذلة، وفي الآخرة عذاب وحسرة.

٣- أن يُعوّد الإنسان نفسه مخالفة هواها، ويسوقها قهراً إلى خالقها ومولاها، ويمكن أن يُمثّل لذلك بحال من يغضب فيكظم غيظه ويمنع جوارحه من التعدي بالقول أو الفعل، ويعفو عن ظلمه، ويُعطي من حرمه ويصل من قطعه، قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْوِ الْأُمُورِ ۗ ﴾ [الشورى: ٤٣]

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وصححه الألباني في الصحيحة.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، والديلمي، وصححه الألباني في الصحيحة.



التربية بالمجاهدة

قيل ليحيى بن معاذ: "من أصح الناس عزمًا؟ قال: الغالب لهواه" (١)

ودخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب بالأهواز، وعنده جارية له يقال لها: البدر، من أحسن الجواري وجهًا، فقال سليمان لخلف: كيف تري هذه الجارية؟ فقال: أصلح الله الأمير، ما رأيت عيناى جاريةً قط أحسن منها، فقال: خذ بيدها: فقال خلف: ما كنت لأفعل ولا أسلبها الأمير وقد عرفت عجبها، فقال: خذها ويحك على عجبى، ليعلم هواي أنى غالب" (٢)

٤- دعاء الله تعالى، والتضرع إليه بأن يرزقك الهدى ويجنبك الهوى.



(١) - ذم الهوى ابن الجوزي، روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

(٢) - المصدر السابق.



(١٧) مجاهدة النفس على التخلص من المعاصي

• لأنه ليس في الدنيا والآخرة من شرٍ وشقاء، إلا وسببه الذنوب والمعاصي.

١- فالمعاصي تزيل النعم وتجلب النقم:

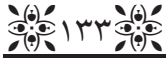
فما زالت عن العبد نعمة، وما حَلَّتْ به نقمة إلا بذنب، ﴿ وَمَا أَصَبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

قال عليٌّ رضي الله عنه: " ما نزل بقومٍ بلاءٌ إلا بذنب، وما رُفِعَ عنهم إلا بتوبة " (١)

٢- والمعاصي سبب الأوجاع والطواعين والأمراض، التي لم تكن في السابقين:

كما قال صلى الله عليه وسلم: " خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تُدركوهنَّ،

(١)- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن القيم.



التربية بالمجاهدة

لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا... " (١)

٣- والمعاصي سبب ظلمة القلب:

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: " إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعةً في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، وضيقاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق " (٢)

٤- والمعاصي تحرم الطاعة:

كما قيل: كم نظرةٍ منعت قيام ليلة!! وكم أكلةٍ منعت قراءة سورة!!

قال ابن القيم رحمته الله: " فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلذَّنْبِ عُقُوبَةٌ إِلَّا أَنْ يَصُدَّ عَنْ طَاعَةٍ تَكُونُ بَدَلَهُ، وَيَقْطَعَ طَرِيقَ طَاعَةٍ أُخْرَى، فَيَنْقَطِعَ عَلَيْهِ بِالذَّنْبِ طَرِيقٌ ثَالِثَةٌ، ثُمَّ رَابِعَةٌ، وَهَلُمَّ جَرًّا، فَيَنْقَطِعُ عَلَيْهِ بِالذَّنْبِ طَاعَاتٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَهَذَا

(١) رواه ابن ماجه والبيهقي والحاكم وقال: صحيح الإسناد وحسنه الألباني.

(٢) - أمراض القلوب وشفائها ابن تيمية.



كَرَّجُلٌ أَكَلَ أَكْلَةً أَوْ جَبَتْ لَهُ مَرَضَةٌ طَوِيلَةٌ مَنَعَتْهُ مِنْ عِدَّةِ أَكْلَاتٍ أَطِيبَ مِنْهَا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ" (١)

٥- والمعاصي تحرم العلم:

قال الله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فكما أن التقوى من أعظم أسباب تعلم العلم النافع، فترك التقوى من أعظم أسباب الحرمان، نعوذ بالله من الخذلان.

٦- والمعاصي تخون العبد في الدنيا وعند الموت:

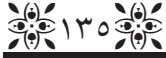
ففي الدنيا إذا وقع العبد في كربة أو بلية، لا تُحل مشاكله، ولا يُوفَّق إلى خير أبداً، ولا ينجذب قلبه للتوكل على الله والإنابة إلى الله والاستعاذة بالله، ولا يطاوعه لسانه لذكر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما عند الاحتضار فالحال أدهى وأمرُّ، يخونه قلبه ولسانه، فيتعذر عليه النطق بالشهادة، بل ربما نطق بدونها فتسوء خاتمته (٢)

ولذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ

(١) - الجواب الكافي.

(٢) - تحذير الداني والقاصي من عقوبات الذنوب والمعاصي: أحمد فريد.



التربية بالمجاهدة

إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسَامُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

قال الحافظ ابن كثير: " حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم، لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه، أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه، فعياداً بالله من خلاف ذلك " (١)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على ترك المعاصي؟

١ - العيش مع القرآن:

تلاوةً، حفظاً، فهماً، وتدبراً، وعملاً، فالقرآن هو الواقعي من أمراض الشبهات التي تهدم الاستقامة، والرادع عن أمراض الشهوات التي تحرم الاستقامة.

وهو جبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

حامل القرآن مقامه أجل من أن يعصي ربه، كيف يصح له ذلك وكل حرف من القرآن يناديه: بالله لا تخالف ما أنت حامل مني.

(١) تفسير ابن كثير.



٢- الحرص على مجالس العلم:

تلك المجالس التي:

أ- تنال فيها فضل المتعلمين.

ب- تُحسب فيها عن الذنوب والخطايا.

ج- تنزل فيها عليك السكينة.

د- تغشاك فيها الرحمة.

هـ- تحفك الملائكة.

و- يذكرك الله عز وجل فيمن عنده.

س- تجالس الصالحين.

ص- تتعلم الحلال والحرام. (١)

٣- تجنب رفقة السوء:

لأن "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل" (٢)

(١) - سلوكيات مرفوضة، للمؤلف.

(٢) رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً وحسنه الألباني.



٤ - فارق دواعي المعصية (١):

فالمعصية لها دواعٍ وأسباب، قد تكون صحبة، أو وحدة، أو سهر، أو مشاهدة التلفاز أو النت، أو المرور من مكان ما، رغبتك في التخلص من المعصية يولدُ عندك مفارقة دواعيها.

٥ - استعظم ذنوبك، واحذر محقراتها:

قال بلال بن سعد: " لا تنظر إلى حجم المعصية، ولكن انظر في حق من عصيت " (٢)

قال ابن مسعود - وهو يصور حال المؤمن مع المعصية -: " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا، قال أبو شهاب: بيده فوق أنفه " (٣)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: " الذنوب جراحات، ورُبُّ جُرح وقع في مقتل " (٤).

(١) - سبيل النجاة من شؤم المعصية: محمد عبد الله الدويش.

(٢) - الفوائد لابن القيم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) - الفوائد لابن القيم.



استعظام الذنب يتولد منه لدى صاحبه: استغفار، وتوبة، وبكاء، وندم، وإلحاح على الله بالدعاء، ثم يتولد الدافع القوي الذي يُمكن صاحبه من الانتصار على شهوته والسيطرة على هواه.

٦ - إذا تكرر الذنب فكرر التوبة:

روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن علي رضي الله عنه، قال: خياركم كل مفتنٍ تواب، قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب، قيل: فإن عاد؟ قال يستغفر الله ويتوب، قيل: حتى متى؟ قال: حتى يكون الشيطان هو المحسور (١)

وقيل للحسن البصري: ألا يستحي أحدنا من ربه، يستغفر من ذنوبه، ثم يعود، ثم يستغفر، ثم يعود، فقال: ودّ الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملوا من الاستغفار. (٢)

فإذا تكرر الذنب وتكرر الذنب وتكرر الذنب، فكرر التوبة، ولا تملّ، شريطة ألا تكون مُصرّاً على المعاصي، بمعنى أن تكون عازماً حال توبتك ألا تعود، مع إقلاعك عن ذنبك وندمك.

(١) - التوبة، لابن أبي الدنيا.

(٢) - جامع العلوم والحكم ابن رجب ص ١٧٦.

(١٨) مجاهدة النفس على التحلي بالتواضع

• لأن في النفس أمراضاً مدمرة - كالكبر والعجب والغرور وحب الظهور - أمراضاً مهلكة، تُذهب بهاء الإيمان، وتمحو حلاوته، ولا علاج لها إلا بالتواضع.

جاء في صحيح مسلم، أن النبي ﷺ قال: " إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد".

• ولأن التواضع يرفع الله صاحبه في الدنيا والآخرة، كما قال ﷺ: " ما نقصت صدقةً من مال، ولا زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله "

وقال ﷺ: " ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع، قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك: ضع حكمته (١) "

(١) بفتح الحاء المهملة والكاف: هي ما تجعل في رأس الدابة كاللجام ونحوه،

• ولأن التواضع خُلِقَ الرسول ﷺ، وهو أشرف وأعظم البشر، كان يتألف الناس ويبتسم في وجوههم ويُقبل عليهم، ويسمع منهم، وينزل على رأيهم.

كان يقول: "إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد" (١)

ورآه رجل يوماً فارتجف من هيئته، فقال له ﷺ: "هون عليك، فإني ابن امرأة كانت تأكل القديد" (٢)

وكان يكره المدح، وينهى عن إطرائه، وينهى أن يقام له، وكان يجلس حيثما انتهى به المجلس، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

وهي هنا: القدر والمنزلة.

أخرجه الطبراني، وانظر صحيح الترغيب والترهيب.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه.



التربية بالمجاهدة

من مظاهر التواضع وعلاماته:

١- عدم التعالي على الناس في الحديث معهم:

حينما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿أَيْنَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠] لم يقل: أنا الوزير، أو نحو ذلك مما هو مصحوبٌ بالألقاب الضخمة التي تتقدم الأسماء الآن، ثم بين لهم أن الفضل الذي هو فيه ليس عن كبير اجتهاد منه، إنما هو من الله، فله النعمة وله الفضل: ﴿وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾.

٢- هضم النفس وعدم الثناء عليها لغير حاجة:

كما قال تعالى ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

٣- التواضع لطلب العلم:

فلا يمنعك أنك مثقف ومفكر أو... أو... أن تشني رُكبك بين يدي العلماء وطلبة العلم، لتتعلم عن الله ورسوله، فالعلم يَضِيع بين اثنين، مستحٍ ومتكبرٍ.

٤- الاعتراف بالخطأ:

وإن مَنَّ اللهُ عليك فاعترفت بالخطأ، فاقبل الصواب من



الآخرين، أيًا كان وضعهم.

سئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال: أن يخضع للحق، وينقاد له، ويقبله ممن قاله (١)، ولأن النبي ﷺ حين سئل عن الكبر، قال: " بطر الحق وغمط الناس " (٢)، بطر الحق: رده، وعدم قبوله، وغمط الناس: احتقارهم.

كيف يجاهد الإنسان نفسه على التحلي بالتواضع؟

١- ألا ينسى العبد أصله، وقدره:

قال ابن حبان: " كيف لا يتواضع من خلق من نطفة مذرة، وآخره يعود إلى جيفة قذرة، وهو بينهما يحمل العذرة " (٣)

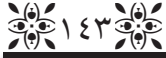
قال تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقال تعالى ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨].

(١) - مدارج السالكين.

(٢) - رواه مسلم.

(٣) - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان.



التربية بالمجاهدة

٢- أن يتفكر العبد في قول النبي ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" (١)

٣- عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.

٤- الاعتناء بالقلب وإصلاحه وضبطه، فهو المضغعة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ والله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. وضبطه: بإخراج المواد الضارة، كالحقد والحسد والشحناء والعجب والرياء والغرور وحب الظهور ونحوها، وإدخال المواد النافعة، كالإخلاص ومحبة الله ورسوله والخوف والرجاء والتوبة والإنابة واستشعار المسؤولية وحب الخير للغير.

٥- أن تعلم أن الكبر صفة إبليس:

قال تعالى ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَتَكْبَرُ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [ص: ٧٦].

(١) رواه مسلم.



(١٩) مجاهدة النفس على علو الهمة

• لأن الناس همم، وَرَبَّ هِمَّةٍ أَحْيَتْ أُمَّةً!!

فكن رجلاً رجليه في الشرى وهامة همتيه في الثريا
إذا ما كنت في أمرٍ مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت في أمرٍ عظيم
لماذا نرضى بالدون؟ لماذا نبيع الأدنى بالأعلى بيع الخاسر
المغبون؟ لماذا نرضى بالقليل من العمل؟ لماذا نزهد في العلم؟
لماذا لم تكن هممتنا كالجبال في فعل الخيرات والسباق إلى الطاعات،
في الدعوة إلى الله، في الاستقامة على طاعة الله، في العمل للإسلام، في
اتباع النبي عليه الصلاة والسلام، في التضحية لأجل هذا الدين الذي
ارتضاه لنا رب العالمين، في اغتنام الفرص والأوقات لطاعة رب
الأرض والسموات؟ لماذا؟!!

✓ الهمة: ألا يرضى الإنسان باليسير مع إمكان الكثير، وألا
يرضى بالأدنى مع إمكان الأعلى.



التربية بالمجاهدة

وقيل: "هي استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور" (١)

والمعنى كما قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: "فلو كانت النبوة - مثلاً - تأتي بكسب، لم يجز أن يقنع بالولاية، ولو صح أن يكون ملكاً، لم يرض أن يكون بشراً، والمقصود: أن ينتهي بالنفس إلى كمالها الممكن في القول والعمل... " (٢)

• لأن شريعتنا العظيمة تدعونا بأساليب متنوعة إلى معالي الأمور:

قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠] وقال تعالى: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩]، وقال: ﴿ وَسَارِعُوا ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿ سَابِقُوا ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْحَيْرَاتِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

إن هذه الآيات وأمثالها تحرك النفوس الأبية والهمم العالية، فوا عجباً للجنة، كيف نام طالبها؟ وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع هذه الأخبار؟

(١) - رسائل الإصلاح.

(٢) - صيد الخاطر.



وقال ﷺ: " إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفاسفها " (١)

وقال ﷺ: " فِي كُلِّ قَرْنٍ مِنْ أُمَّتِي سَابِقُونَ " (٢) بهم يُسْتَقُونَ وبهم يَرْزُقُونَ وبهم يَدْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، ففي كل قرنٍ يُعِيدُ اللهُ اليقين إلى نفوس الأمة، بأن يجعل فيها سَبَاقِينَ في الخير، لا يُبَالُونَ بالمحن، يتَأَسَّى الناس بهم، كما يجعل فيها مَنْ يُصَحِّحُ لها المفاهيم، ويسير بها على الجادة، ويقودها إلى الهداية، ويجدد لها أمر دينها كما قال ﷺ: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " (٣) فإما أن يأتي الفرج على أيدي السابقين، وإما على أيدي المجددين، فهل ستحرص أن تكون منهم، أم رضيت أن تكون في الذيل؟

وقال ﷺ: " مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ مَا لَهُ عِنْدَ اللهِ فَلْيَنْظُرْ مَا اللهُ عِنْدَهُ " (٤)

وقال ﷺ يوماً لأصحابه: " مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ دُعِيَ مِنْ

(١) رواه الطبراني وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية، والديلمي، وانظر: صحيح الجامع.

(٣) صحيح سنن أبي داود.

(٤) رواه الدارقطني في الأفراد، وأبو نعيم في الحلية، وانظر صحيح الجامع.



التربية بالمجاهدة

أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَالْجَنَّةُ أَبْوَابٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَيِّهَا دُعِيَ، فَهَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ" (١)

يا لها من همة! فلم يرض أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالباب ولا بالباين، لم يرض إلا بالأبواب كلها!

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة" (٢)

وَعَنْ رِبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَهَارِي فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ، أَوِيْتُ إِلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبِتُّ عِنْدَهُ، فَلَا أَرَأَى أَسْمَعُهُ يَقُولُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ رَبِّي" حَتَّى أَمَلُّ أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي فَأَنَامُ، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: "يَا رِبِيعَةَ سَلْنِي فَأَعْطِيكَ" قُلْتُ: أَنْظِرْنِي حَتَّى أَنْظُرُ،

(١) رواه أحمد والترمذي والنسائي وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

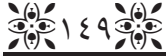


وَتَذَكَّرْتُ أَنَّ الدُّنْيَا فَايَةٌ مُنْقَطِعَةٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يُجَنِّبَنِي مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: "مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا؟" قُلْتُ: مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنِّي عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ فَايَةٌ وَأَنْتَ مِنَ اللَّهِ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ، أَحَبُّتُ أَنْ تَدْعُوَ اللَّهَ قَالَ: "إِنِّي فَاعِلٌ، فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ" (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّنُورِ بِالدرَجَاتِ العُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ؟ فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتَقُونَ وَلَا نَعْتَقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَلَا أَعَلَّمَكُمُ شَيْئًا تَدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟! قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتُحَمِّدُونَ ذُبْرُ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً، قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلَ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ" (٢)

(١) رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني، وأصله في الصحيحين.

(٢) متفق عليه.



التربية بالمجاهدة

وعن ابن عمر أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن المؤذنين
يَفْضُلُونَنَا؟ قال: قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تعط " (١)

✓ قال الحسن: " من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في
ديناك فألقها في نحره " (٢)

✓ قال أحد السلف لغلامه: " يا غلام لا يكن همُّك ما تأكل وما
تشرب وما تلبس وما تنكح وما تسكن، كل هذا همُّ النفس والطبع،
فأين هم القلب؟ همُّك ما أهمك، فليكن همك ربك عز وجل " (٣)
✓ قال وهيب بن الورد: إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد
فافعل " (٤).

✓ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: " لا بد للسالك من همة تسيِّره وتُرقيِّه،
وعلم يُبصره ويهديه " (٥)

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) - إحياء علوم الدين، وعلو الهمة: محمد إسماعيل المقدم.

(٣) - إحياء فقه الدعوة، للراشد.

(٤) - إحياء علوم الدين.

(٥) - الدرر الكامنة.



✓ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أن العلم والعمل توأمان، أمُّهُمَا علو الهمة. (١)

• ولأن معالي الأمور لا تدرك بالتمنى:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

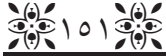
لأن بعض الناس يريد الخير ويرجو الفلاح والفوز، ولكن هل يُدرك شيء من ذلك أو غيره، بمجرد الإرادة والأمان؟

فأين البذل والعطاء؟ أين الأعمال الصالحة؟ أين الاجتهاد والتشمير وصدق التوجه؟ أين تغليب المصالح الكلية للجماعة والأمة، على مصالح النفس الجزئية؟

أين... وأين... وأين...؟

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَتْ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۗ ﴾ [الإسراء: ١٩].

(١) - اللطائف في الوعظ، والمدمش.



كيف يجاهد الإنسان نفسه على طلب معالي الأمور؟ (١)

١- العلم (بالله ورسوله):

فلا ترتفع الهمم بمثل العلم، فالعلم يرتقي بالهمة ويُصفي النية ويرفع صاحبه عن حضيض التقليد، كما يبصر صاحبه بحيل إبليس وتليسه عليه، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

٢- المجاهدة:

فبدونها لا يتحقق شيء، ولا تُخطى خطيئة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال ابن القيم - في روضة المحبين - : " أعرف من أصابه مرضٌ، من صداعٍ وحمى، وكان الكتاب عند رأسه، فإذا وجد إفاقةً قرأ فيه، فإذا غلب وضعه، فدخل عليه الطبيب يوماً وهو كذلك، فقال: إن هذا لا يحل، فإنك تعين على نفسك، وتكون سبباً لفوات

(١) - علو الهمة: محمد إسماعيل المقدم، الهمة العالية: محمد إبراهيم الحمد، الهمة طريق إلى القمة: محمد موسى الشريف، وصلاح الأمة في علو الهمة: العفاني، نضرة النعيم.



مطلوبك".

فهذا رغم مرضه يجاهد ليقراً ويزداد علماً!

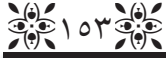
٣- صحبة أولي الهمم العالية:

فإن العبد يستمد من لحظ الصالحين قبل لفظهم، لأن رؤيتهم تذكر بالله، وتدعو إلى البر، يحكي ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، بعض ما استفاده من ملاحظة شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فيقول: " وَعَلِمَ اللهُ، ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، وما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدرًا وأقواهم قلباً وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد منا الخوف وساءت منا الظنون وضاعت بنا الأرض، أتيناها فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوةً ويقيناً وطمأنينةً "

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: " ما أُعطي عبدٌ بعد الإسلام، خيراً من أخٍ صالح، فإذا رأى أحدكم وُدًّا من أخيه فليستمسك به "

وقد صاغه بعضهم شعراً، فقال:

ما نالت النفس على بغية الذم من ودِّ صديق أمين



مَنْ فَاتَهُ وَدَّ أَخَ صَالِحٍ فَذَلِكَ الْمَقْطُوعُ مِنْهُ الْوَتِينَ (١)

٤- المبادرة والمداومة والمثابرة في كل الأحوال:

قال تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

لَيْسَ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَأَوَانٍ تَنْتَهِيَّ أَصْنَائِعُ الْإِحْسَانِ
فَإِذَا أَمَكَّنْتَ فَبَادِرْ إِلَيْهَا حَذِرًا مِنْ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ

فمن آخر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فواتها، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فإنه لما خرج مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر رضي الله عنه، لقياً في طريق الهجرة بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه فيما بين مكة والمدينة، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، فلم يشغله مطاردة قريش إياه عن واجب الدعوة إلى الله (٢).

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد: أبو طالب المكي.

(٢) - الوقت وأهميته في حياة المسلم: علي نايف الشحود.



٥- كثرة ذكر الموت:

لأن ذلك يدفع إلى العمل للأخرة، والتجافي عن دار الغرور، ومحاسبة النفس، وتجديد التوبة، وإيقاظ العزم على الاستقامة.

٦- الدعاء الصادق:

إذا أردت باباً أقرب إلى مولاك، وأوسع، ولا مُزاحم فيه، فاطرق باب الله، فإن هذا الباب يُفتح لك منه ما لا يُفتح لك في غيره.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: "وقد عرفتُ بالدليل، أن الهمة مولودة مع الآدمي وإنما تَقْصُرُ بعض الهمم بعض الأوقات، فإذا حُثَّتْ سارت، ومتى رأيتَ في نفسك عجزاً، فسل المنعم، أو كسلاً فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته، ولا يفوتك خيرٌ إلا بمعصيته" (١)

٧- جعل الهم واحداً، وهو رضا الله:

ففي الحديث المرفوع: "من جعل الهموم همماً واحداً، همَّ المعاد كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا،

(١) - صيد الخاطر.



التربية بالمجاهدة

لم يبالِ الله في أيِّ أوديتها هلك " (١)

٨- الإخلاص.

٩- الصدق.

١٠- الحرص على الوقت.

١١- الصبر.

١٢- قراءة سير سلف الأمة.

١٣- مراجعته جدول الأعمال، والمحاسبة اليومي، ومراعاة الأولويات، الأهم فالمهم.



(١) رواه ابن ماجه وغيره وانظر: صحيح الترغيب والترهيب.



(٢٠) مجاهدة النفس على الدفع بالتي هي أحسن

• لأن الله تعالى أمر بذلك، فقال: ﴿ اَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

قال ابن عباس في تفسير الآية: ادفع بحلمك، جهل من يجهل عليك " (١)

وقال أيضاً: " أمر المسلمين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه ولي حميم " (٢)

وهنيئاً لمن قدر على ذلك، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت ٣٥].

(١) - تفسير القرطبي.

(٢) - فتح القدير للشوكاني.



التربية بالمجاهدة

• ولأن الدفع بالتي هي أحسن، من أعظم صفات عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ۗ ﴾ [الفرقان: ٦٣] قال الحسن: " حلما، إذا جهل عليهم لم يجهلوا" (١)

إذا نطق السفية فلا تُجبه فخيرٌ من إجابته السكوت إن كلمته فرّجت عنه وإن خليته كمداً يموت • ولأن ذلك من علامات الرجولة، وقوة النفس، قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْرِ الْأُمُورِ ۗ ﴾ [الشورى: ٤٣]

فالمسلم التقي الذي ارتوت نفسه من هدى الإسلام يُروض نفسه دوماً على الحلم وكظم الغيظ متمثلاً قول الله تعالى: ﴿ وَالْكَظِيمِ الْأَعِظُ وَالْعَافِيَةُ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، لأن الشديد في نظر الإسلام ليس بالرجل ذي العضلات الظاهرة، القادر على صرع الناس والتغلب عليهم، بل الشديد هو الرجل المتزن الحليم الذي يملك نفسه عند الغضب، كما قال ﷺ: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (٢) هذا هو ضبط النفس الذي هو مقياس رجولة الرجال.

(١) - تفسير الطبري.

(٢) متفق عليه.



• ولأن الدفع بالتي هي أحسن، اقتداءً بالرسول ﷺ، والمؤمن إن لم يقتد بالرسول ﷺ فبمن يقتدي؟!!

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وهي تصف خلق رسول الله ﷺ -: " ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح" (١)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على الدفع بالتي هي أحسن؟

١- أن تمتص غضبك، وتكظم غيظك:

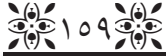
لتنفذ من هذا الباب إلى الحور العين، فقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: " من كظم غيظاً وهو قادرٌ على أن يُنفذه، دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره من أيِّ الحور العين شاء" (٢) وهذه أدنى درجة من درجات الدفع بالتي هي أحسن.

٢- أن تقابل إساءة المسيء بالدعاء له:

وبهذا فسّر أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قول الله تعالى: ﴿ اذْفَع بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ حين قال: يقول الرجل لأخيه ما ليس فيه، فيقول له: إن كنت كاذباً فإني أسأل الله أن يغفر لك، وإن كنت صادقاً فإني أسأل الله أن

(١) صحيح سنن الترمذي.

(٢) صحيح ابن ماجه.



التربية بالمجاهدة

يغفر لي" (١) وهذه هي الدرجة الوسطى من درجات الدفع بالتي هس أحسن.

٣- أن تحسن إلى من أساء إليك:

وقد جاء صحابيٌّ إلى رسول الله ﷺ، يشكو قائلاً: "يا رسول الله إن لي ذوي أرحام، أصل ويقطعون، وأعفو ويظلمون، وأحسن ويسيتون، أفأكافئهم؟ قال: لا، إذا تركون جميعاً [أي يترككم الله جميعاً فلا ينظر إليكم] ولكن خذ بالفضل وصلهم، فإنه لن يزال معك من الله ظهيرٌ ما كنت على ذلك" (٢)

وسأل رجل النبي ﷺ: الرَّجُلُ أَمْرٌ بِهِ فَلَا يَقْرِنِي وَلَا يُضَيِّقُنِي، فَيَمُرُّ بِي أَفَأَجْزِيهِ؟ قَالَ: "لَا، أَقْرِهِ" (٣)

وهذا أعلى مقامات الدفع بالتي هي أحسن، وبهذا تحيا معاني الخير في النفوس ويتنافس الناس في الإحسان وتُغلق أبواب الشر على الشيطان.

(١) - فتح القدير.

(٢) رواه أحمد، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وله شاهدٌ عند مسلم من حديث أبي هريرة.

(٣) صحيح سنن الترمذي.



❖ مَرَّ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالُوا لَهُ شَرًّا، فَقَالَ لَهُمْ خَيْرًا فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ شَرًّا وَأَنْتَ تَقُولُ خَيْرًا؟ فَقَالَ: "كُلُّ يَنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ" (١).

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].



(١) - إحياء علوم الدين الإمام الغزالي، جدد حياتك: الغزالي.

(٢١) مجاهدة النفس على إتقان العمل

• لأنه أمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
[البقرة: ١٩١] والإحسان: هو الإتقان، والإحكام.

وقال ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيُحَدِّدَ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِيحَ ذَبِيحَتَهُ " (١)

وعن عاصم بن كليب قال: حَدَّثَنِي أَبِي كَلِيبٌ أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ جَنَازَةَ شَهِدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا غُلَامٌ أَعْقِلٌ وَأَفْهَمٌ، فَانْتَهَى بِالْجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمْ يُمْكِنْ لَهَا، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "سَوِّوا لِحَدِّ هَذَا" حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ، فَالْتَمَتْ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: "أَمَّا إِنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمَلَ أَنْ يُحْسِنَ" (٢)

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب وانظر الصحيحة.



فالمسلم مطالبٌ بالإتقان في أعماله التعبديّة والمعاشية، إحكاماً وإكمالاً تجويداً وإحساناً.

قال أحد السلف: " لا يكن همُّ أحدكم في كثرة العمل، ولكن في إحكامه وتحسينه، فإن أحدكم قد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه" (١)

• ولأنّ الإتقان هو معيار التمييز بين المجتهد والمقصر، فكل الناس يؤدّون أعمالهم، ولكن الفارق بينهم يكون في درجة إتقانهم لأعمالهم.

• ولأنّ العبرة ليست في أداء العمل فقط، ولكن في الصفة التي أُدّي بها العمل.

❖ أمثلة حية:

١- إتقان الطهارة (الوضوء، والغسل):

قال عَلَيْهِ السَّلَام: "من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياها من جسده حتى تخرج من أظفاره" (٢)

(١) - صفة الصفوة ابن الجوزي.

(٢) رواه مسلم.



التربية بالمجاهدة

وقال ﷺ: "من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله، وتطهر فأحسن طهوره، ولبس من أحسن الثياب، ومس من طيب أهله، ثم أتى الجمعة، ولم يبلغ، ولم يفرّق بين اثنين، غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى" (١)

٢- إتقان الصلاة:

وذلك بمراعاة أركانها وواجباتها والطمأنينة فيها وخشوعها.

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال للمسيء في صلاته: "ارجع فصلّ فإنك لم تصل"

وسئلت عائشة رضي الله عنها يوماً عن صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ فقالت: "ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً" (٢)

٣- إتقان الصيام:

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك

(١) رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه.



ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك
سكينة ووقار يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك
سواء" (١)

٤- إتقان الزكاة:

باخراجها في وقتها، من أفضل ماله، إلى مستحقيها، متحريراً في
ذلك، وقد طابت بها نفسه، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا
مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ
مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٥- إتقان الحج:

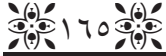
قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ٢٩٦].

٦- إتقان قراءة القرآن:

قال ﷺ: " الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ
القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق، له أجران " (٢)

(١) لطائف المعارف.

(٢) متفق عليه.



التربية بالمجاهدة

وعن أبي عبد الرحمن السُّلَمي، أنه قال: حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن، كعثمان بن عفان وابن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يُجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل " (١)

٧- إتقان تربية الأولاد:

قال ﷺ: " ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يُحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة " (٢)

٨- إتقان التعليم:

المعلم سواءً كان إماماً في مسجد، أو مدرساً في فصل، أو أستاذاً في جامعة، أو معلماً للقرآن، بحاجة ماسّة إلى إتقان العمل، لأن هذا كَلِّه يدخل تحت قول النبي ﷺ: " إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " والتعليم أعظم العمل وأشرفه، وما وقع التراجع، والتخلف والتردي، إلا بسبب الإهمال والتهاون.

(١) - الإتقان.

(٢) متفق عليه.



٩- إتقان الأعمال الدنيوية:

العمل الذي يقوم به الإنسان أمانة، والله تعالى سائله عنه يوم القيامة.

كم من مبنى انهار، وكم من جسر (كوبري) تصدّع، بسبب عدم الإتقان الذي ارتكبه المهندس والمقاول!! وكم من أرواح فُقدت وراحت هدرًا، بسبب عدم إتقان الطبيب، وكم من خسائر فادحة، وإسرافات فاضحة بسبب عدم إتقان العمال لأعمالهم، بل بسبب موت ضمائرهم!!

❖ سعادة المتقن، وشقاء المهمل:

• دخل فتى صغير إلى محل تسوق، وجذب صندوق مشروبات غازية إلى أسفل كابينه هاتف، ووقف فوق الصندوق ليصل إلى أزرار الهاتف، وبدأ باتصال هاتفي، وصاحب المحل متنبهٌ إلى الموقف ومستمعٌ إلى المحادثة، قال الفتى للطرف الآخر: سيدتي هل يمكنني العمل لديك في تهذيب الحديقة؟ أجابت السيدة: لدي من يقوم بهذا العمل، قال الفتى: سأقوم بالعمل بنصف الأجرة التي يأخذها العامل عندك، قالت: أنا راضية به ولا أريد استبداله، فألح



التربية بالمجاهدة

قائلاً: سأنظف لك أيضاً ممر المشاة والرصيف أمام المنزل، فقالت:
لا، تبسم الفتى وأغلق الهاتف!

تقدم صاحب المحل الذي كان يستمع إلى المحادثة، وقال
للفتى: لقد أعجبتني همتك العالية، وأحترم هذه المعنويات
الإيجابية، وأعرض عليك فرصة عمل لدي في المحل، أجاب الفتى
الصغير: لا، وشكراً لعرضك، كنت أتأكد فقط من جودة عملي الذي
أقوم به حالياً، لأنني أنا الذي أعمل عند هذه السيدة التي كنت أتكلم
معها.

• كان رجل يعمل نجاراً، وكان مبدعاً متقناً، طلب من رئيسه في
العمل أن يحيله على التقاعد، ليعيش بقية عمره مع زوجته وأولاده،
فرفض ورغبه بزيادة مرتبه، إلا أن النجار أصرّ على طلبه! فقال له
صاحب العمل: إن لي عندك رجاءً أخيراً، وهو: أن تقوم بالإشراف
والرعاية على هذا المنزل الأخير، وستحال إلى التقاعد بعد ذلك،
وافق النجار على مضمض، وبدأ العمل، ولعلمه أن هذا العمل هو
العمل الأخير، لم يحسن الصنعة ولم يتقن العمل وأسرع في الإنجاز
دون الجودة المطلوبة، ودون إبداعه المعتاد، فلما أنهى العمل سلم
صاحب العمل مفاتيح المنزل وطلب منه السماح بالرحيل، إلا أن
صاحب العمل قد استوقفه قائلاً: إن هذا المنزل هدية لك مقابل



سنين عملك في المؤسسة، فصُعق النجار من المفاجأة، وندم على الإهمال؛ لأنه لو علم أنه سيؤسس منزله لأخلص العمل وأتقن الأداء.

فتأمل شقاء هذا وسعادة ذاك واعتبر! (١)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على إتقان العمل؟

١- إن مما يعين العبد على إتقان العمل، أن يستشعر رؤية الله تعالى لعمله، كما قال تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ إِلَىٰ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

٢- كما أن الإخلاص لله تعالى سرٌّ بديعٌ من أسرار الإِتقان، وتلك وصية النبي ﷺ حينما سأله جبريل عن الإحسان، فقال: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " (٢)

فإذا كان الإنسان لا يتقن إلا إذا كان رئيسه في العمل فوق رأسه، فقد مات الضمير ودفن الإخلاص!

(١) - القصة ذكرهما الشيخ محمد صالح المنجد في محاضرة له مكتوبة، راجع موقع الشيخ المنجد.

(٢) رواه مسلم.

(٢٢) مجاهدة النفس على اتقاء الشبهات

- لأن من استهان بالمشتبهات وقع في المحرمات حالاً، أو مآلاً. فقد جاء في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمورٌ مشتهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، فقد وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن حمى الله محارمه "
- قد ينظر الإنسان في مسألة، فلا يتوصل فيها إلى حكم قاطع من حل أو حرمة، أو قد يسأل إنسان في مسألة، فيجيبه أحدهم بالحل، وأحدهم بالحرمة، فيضطرب قلبه، وتشك نفسه!
- فالموقف الشرعي هنا: إن كان متردداً بين الإباحة والوجوب أن يقوم بالعمل، وإن كان متردداً بين الإباحة والتحريم أن يجتنب.
- وهذا هو ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: " دع ما يريبك إلى ما

- يريبك" (١)، قال الخطابي كل ما شككت فيه فالورع اجتنابه" (٢)
- وقال ﷺ: "اجعلوا بينكم وبين الحرام سترةً من الحلال، من فعل ذلك فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن ارتع فيه كان كالمرتع إلى جنب الحمى" (٣)
- وقال ﷺ لأبي هريرة: "يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد الناس" (٤)، أي داوم عليه في جميع الحالات، حتى يصير طبعاً لك، فتكون أعبد الناس لدوام مراقبتك واشتغالك بأفضل العبادات بظاهرك وباطنك بإيثار حقك على حظك، وهذا كمال العبودية. (٥)
- وقال ﷺ: "إنك لن تدع شيئاً لله عز وجل، إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه" (٦)

(١) رواه أحمد والترمذي والنسائي وصححه الألباني.

(٢) فتح الباري.

(٣) رواه ابن حبان وصححه الألباني في الصحيحة.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) فيض القدير.

(٦) رواه أحمد في المسند والهيثمى في مجمع الزوائد، وقال: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في الصحيحة.



التربية بالمجاهدة

عَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن عليّ تمرّةً من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة" (١)

ويخبر صلى الله عليه وسلم عن حاله قائلاً: "إني لأنقلب إلى أهلي، فأجد التمرة ساقطة على فراشي، ثم أرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقةً، فألقها" (٢)

وتعلّم منه أصحابه:

١- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان لأبي بكرٍ غلامٌ يُخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسانٍ في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيءٍ في بطنه" (٣)

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.



فسبحان الله! ما أعظم الفرق بين قوم يُخرجون الحرام من بطونهم، وبين أقوام يُدخلون الحرام بكل جرأة في بطونهم جهاراً نهاراً، فالحلال ما حلّ بأيديهم، وطرق الكسب المتنوعة هي ما أحلته أهواؤهم وشهواتهم، وصدقت فيهم نبوءة النبي ﷺ حين أخبر عن حالهم قبل وقوعه فقال: " يأتي على الناس زمانٌ لا يبالي المرء ما أخذ من المال، أمن الحلال أم من الحرام " (١)

٢- وعن نافع قال: سمع ابن عمر مزماراً، فوضع أصبعيه في أذنيه، وقال: كنت مع النبي ﷺ فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا " (٢)

فما أعظم الفرق كذلك بين هذا، وبين هؤلاء الذين يعشقون مزامير الشيطان، عليها ينامون وعليها يقومون وبها يتكلمون، وقد ملئوا بها مراكزهم وهواتفهم وبيوتهم!

٣- ولما وقع المنافقون في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي العفيفة الطاهرة المصونة، فسأل النبي ﷺ زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي من ضرائر عائشة، وهذا مجال الكلام فيها إذا أرادت ذلك، فقال ﷺ: " يا زينب

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح أبي داود.



التربية بالمجاهدة

ما علمت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمتُ عليها إلا خيراً، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وهي التي كانت تساميني عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (١) فعصمها الله بالورع " (٢)

فما أعظم الفرق كذلك بين هذا، وبين هؤلاء الذين لا يحمون ألسنتهم ولا أسمعهم ولا أبصارهم، إذا سمعوا كلمة هي أقرب ما تكون للزور والبهتان، زادوا عليها عشراً، وتداولوها، وقد قال تعالى:

﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور: ١٥]

٤- وقد حكى لنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبر رجلين، اشترى أحدهما من صاحبه عقاراً، فوجد المشتري في العقار جرة ذهب، فذهب إلى صاحبه، وقال: خذ ذهبك لقد اشتريت منك الأرض ولم أشتري منك الذهب، وقال البائع: إنما بعثت الأرض وما فيها، - كل منهما تورع عن أخذ الذهب - فتحاكما إلى رجل، فقال: ألكما ولد؟ فقال أحدهما: لي غلامٌ، وقال الآخر: لي جارية، فقال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا " (٣)

(١) أي: تنازعني الحطوة والمكانة عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) متفق عليه.



كلمات من نور:

• عن معاوية بن قرة قال: دخلت على الحسن وهو متكئٌ على سريره، فقلت: يا أبا سعيد، أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة في جوف الليل والناس نيام، قلت: فأَيُّ الصوم أفضل؟ قال: في يوم صائف، قلت: فأَيُّ الرقاب أفضل؟ قال: أنفُسُها عند أهلها وأغلاها ثمنًا، قلت: فما تقول في الورع؟ قال: ذاك رأس الأمر كله (١)

• وجاء رجل إلى أبي عبد الرحمن العُمريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال: عطني، فأخذ حصاةً من الأرض، وقال: "زنة هذا من الورع، يدخل قلبك، خيرٌ لك من صلاة أهل الأرض، فقال له: زدني، قال: كما تحب أن يكون الله لك غدًا، فكن له اليوم" (٢)

• وقال خالد بن معدان: "من لم يكن له حلمٌ يضبط به جهله، وورع يحجزه عما حرّم الله عليه، وحسن صحابة لمن يصحبه فلا حاجة لله في حجّه" (٣)

(١) - الورع، لابن أبي الدنيا.

(٢) - الورع.

(٣) - لطائف المعرف: ابن رجب، الورع، لابن أبي الدنيا.



التربية بالمجاهدة

• وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: تمام التقوى أن يتقي العبد الله حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، حجاباً بينه وبين الحرام. (١)

• وقال الثوري: إنما سُموا المتقين، لأنهم اتقوا ما لا يُتقى. (٢)

• وقال سفيان بن عيينة: لا يصيب عبدٌ حقيقة الإيمان، حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه. (٣)

• وقال عمر رضي الله عنه: "دعوا الربا والريبة" يعني: ما ارتبتم فيه وإن لم تتحققوا أنه ربا. (٤)

قال حبيب بن ثابت: "لا يُعجبنا كثرة صلاة امرئٍ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى ورعه، فإن كان ورعاً، مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبدُ الله حقاً" (٥)

(١) - الدار المشور.

(٢) - جامع العلوم والحكم: ابن رجب.

(٣) - التربية الذاتية: هاشم علي الأهدل، نقلاً عن جامع العلوم والحكم.

(٤) - جامع العلوم والحكم.

(٥) الورع لابن أبي الدنيا.



● تنبيه:

وهنا أمرٌ يجب التفطن له، وهو أن التدقيق في الوقف عن الشبهات، إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها، أما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة، ثم يريد أن يتورع عن دقائق الشُّبه، فإنه لا يحتمل له ذلك، وخطابنا ليس له.

كما قال ابن عمر رضي الله عنهما، لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق: يسألوني عن دم البعوض، وقد قتلوا الحسين، وإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "هما ريحانتي من الدنيا" (١)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على ترك الشبهات؟

١- الخوف من الله.

٢- مراقبة الله.

٣- العمل للآخرة.

٤- المحاسبة الدائمة للنفس.



(١) - رواه البخاري، وانظر: جامع العلوم والحكم.

(٢٣) مجاهدة النفس على ترك الشهوات (المحرمة)

• لأنَّ الأمر، كما قال صلى الله عليه وسلم: " حُفَّت النار بالشهوات... " (١)

والمعنى: أنه وُضِع على حافة النار حجابٌ من الشهوات، من اخترق هذا الحجاب دخلها، فمن جاهد نفسه على الامتناع عن الشهوات التي حُفَّت بها النار أحب الطاعة وألْفها وكره المعصية وأنْف منها، فيصير التعبد يسيراً عليه، محبوباً لديه.

والشهوات: هي ما يميل إليه النفس، من غير تعقل، ولا تبصر، ولا مراعاة لدين ولا مروءة.

أمثلة: النظر إلى الحرام، تميل إليه النفس، فإذا طواع العبد نفسه، من غير تبصُر ولا مراعاة لدين، فصار فريسةً لهذه الشهوة، فقد اخترق الحجاب الذي بينه وبين النار، ولو تعقل الإنسان وتبصر وراعى الدين والمروءة، لجاهد نفسه في الامتناع من ذلك، وقل مثل

(١) رواه مسلم.

ذلك في شهوة الزنا، وشهوة حب الصدارة والزعامة، وشهوة حب المال، وشهوة الغش، وسائر الشهوات.

لماذا خلق الله الشهوة، وكيف نتعامل معها؟

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: " إن الله خلق فينا الشهوات واللذات لنستعين بها على كمال مصالحنا، فخلق فينا شهوة الأكل واللذة به، فإن ذلك في نفسه نعمة وبه يحصل بقاء جسمنا في الدنيا، وكذلك شهوة النكاح واللذة به، هو في نفسه نعمة وبه يحصل بقاء النسل، فإذا استُعين بهذه القوى على ما أمرنا، كان ذلك سعادةً لنا في الدنيا والآخرة، وكنا من اللذين أنعم الله عليهم نعمةً مطلقة، وإن استعملنا الشهوات فيما حرمه علينا بأكل الخبائث في نفسها، أو كسبها بالمظالم، أو بالإسراف فيها، أو تعدينا أزواجنا أو ما ملكت أيماننا، كنا ظالمين معتدين غير شاكرين لنعمته..."^(١).

إذن ليست الشهوات كلها مذمومة، ولكن منها ما هو محمود، وبحسب الاستعمال، كذلك يتبلي الله تعالى عباده بالشهوات ليميز المطيع من العاصي والخبيث من الطيب، لأن الإنسان إنما ينجرف

(١) - الاستقامة.



التربية بالمجاهدة

في الشهوات بسبب ضعف إيمانه، ورفقته السيئة، وفراغه القاتل، وقربه من مثيرات الشهوة، وهذه كلها مناطات امتحان.

كيف يجاهد الإنسان نفسه على ترك الشهوات؟

١- قل: معاذ الله، إني أخاف الله، واجعل ذلك شعارك:

" معاذ الله " قالها يوسف حين راودته امرأة العزيز وعرضت له جسدها على فراش من حرير، وكان شاباً عبداً عزيباً، فنجاه الله منهين وصرف عنه كيدهن.

" إني أخاف الله " يقولها من يرغب أن يُظَلَّ بظل عرش الرحمن يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله..... " ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله "

٢- راقب ربك واغضض بصرك:

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ﴿٣٥﴾ [غافر: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ [النور: ٣٠].



٣- الزواج أو الصيام:

كما قال ﷺ: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " أي: وقاية (رواه البخاري).

وقد قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

٤- لا تقترب من مثيرات الشهوة:

ففي زمانٍ قد مُلِيَ بالفتن، وحسبك فتن النت، والفيس بوك، ونحوها، وما يتبع ذلك من مثيرات وملهيات ومضيعات للأوقات، فَرِّ، حتى يسلم لك دينك، كما فَرَّ يوسفُ هارباً حتى فَدَّتْ قميصه من دُبر.

٥- ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

٦- الدعاء:

تأمل نبيَّ الله يوسف عليه السلام حين يقول: ﴿رَبِّ اَلْسِّجْنِ اَحَبُّ اِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي اِلَيْهِ وَاَلَا فَصَّرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ اَصْبُ اِلَيْهِنَّ وَاَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٤-٣٥].

(٢٤) مجاهدة الخواطر والأفكار

• لأن الخطرة هي مبدأ الخير والشر، فما من خير فعله الإنسان إلا وقد خطر بباله أولاً، وما من شر ارتكبه إلا وقد خطر بباله أولاً.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "وأما الخطرات فشأنها أصعب فإنها مبدأ الخير والشر، ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزائم، فمن راعى خطراته ملك زمام نفسه وقهر هواه، ومن غلبته خطراته فهو هوانه ونفسه له أغلب، ومن استهان بالخطرات قاده قهراً إلى الهلكات...." (١)

قال مسروق رَحِمَهُ اللهُ: "من راقب الله في خطرات قلبه: عصمه الله في حركات جوارحه" (٢)

وقال أبو تراب النخشي رَحِمَهُ اللهُ: احفظ همك، فإنه مُقَدِّمة الأشياء، فمن صحَّ له هَمُّه صحَّ له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله. (٣)

(١) - الداء والدواء.

(٢) صفة الصفوة.

(٣) ذم الهوى.



وقال مُمشاد الدَّينوري رَحْمَةُ اللهِ: الهمة مقدمة الأشياء، فمن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الأعمال والأحوال. (١)

● تنبيه وفائدة:

ومعلوم أن الإنسان لم يُعْطَ إِمَاتَةً الخواطر، ولا القوة على قطعها، فإنها تهجم عليه هجوم النفس، إلا أن قوة الإيمان والعقل تعينه على قبول أحسنها ورد أقبحها، كما قال الصحابة يوماً للنبي ﷺ: " يا رسول الله إن أحدنا يجد في نفسه ما أن يحترق حتى يصير حُمَمَةً أحبُّ إليه من أن يتكلم به؟ فقال: أوقد وجدتموه؟ قالوا: نعم قال: ذلك صريح الإيمان " وفي لفظ: " الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة " (٢)

وقد خلق الله النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن، ولا بد لها من شيء تطحنه، فإن وُضِعَ فيها حَب طحنته، وإن وُضِعَ فيها تراب أو حصى طحنته، والأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى، ولا تبقى تلك الرحى

(١) حلية الأولياء.

(٢) رواه ابن حبان وأبو داود وصححه الألباني.



التربية بالمجاهدة

معطلة قط، بل لا بد لها من شيء يوضع فيها فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملاً وحصى وتبناً ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه. (١)

كيف يجاهد الإنسان خواطره وأفكاره؟

السبيل الوحيد لمجاهدة الخواطر والأفكار أن تُشغل النفس بالخير والحق دائماً، فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فالخاطر إذا وجد نفساً فارغة تمكن منها ووضع فيها سمومه، وصدق من قال:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا
فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعينك دون ما لا
يعينك، فالفكر فيما لا يعينك باب كل شر، ومن فكر فيما لا يعنيه
فاته ما يعنيه، ولا بد!

" فخطرات العاقل لا تتجاوز واحداً من خمسة:

الفكرة في آيات الله المنزلة وتعقلها وفهم مراد الله منها، ولذلك

(١) - إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد: عبد العزيز السلطان، بتصرف.



أنزلها الله تعالى لا لمجرد تلاوتها، بل التلاوة وسيلة، فتنبّه.
قال بعض السلف: أنزل الله القرآن ليُعمل به، فاتخذوا تلاوته
عملاً.

١- الفكرة في آيات الله المشهودة من أرض وسماء وبحار وأنهار
وماء وهواء....، والاستدلال بذلك على الله وحكمته وإحسانه وبره
وجوده، فالله تعالى قد حَصَّ على ذلك، وذم الغافل عن ذلك: ﴿ إِنَّ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] تلا النبي ﷺ هذه الآيات وقال: " ويل لمن
قرأها ولم يتفكر فيها " (١)

٢- الفكرة في آلائه وإحسانه وإنعامه على خلقه بأصناف النعم،
وهذه الثلاثة تستخرج من القلب معرفة الله ومحبته وخوفه ورجاءه.

٣- الفكرة في عيوب النفس وآفاتهما، وهذه الفكرة باب كل خير،
وتأثيرها في كسر النفس الأمانة بالسوء، ومتى كُسرت، عاشت النفس
المطمئنة وانتعشت، وصار الحكم لها، وسعد الإنسان في الدنيا
والآخرة.

(١) صحيح ابن حبان.



التربية بالمجاهدة

٤- الفكرة في واجب الوقت ووظيفته، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضاع لم يُستدرك أبداً، والله سائلنا عنه يوم القيامة.

قال الشافعي رحمته الله: صحبت الصوفية، فلم أستفد منهم سوى حرفين، أحدهما: قولهم: الوقت سيف فإن لم تقطعه قطعك، والثاني: قولهم: ونفسك إن أشغلتها بالحق وإلا أشغلتك بالباطل.

وما سوى هذه الخمس فهي أمانى باطلة، ووساوس شيطان، وخذع كاذبة....." (١)

وقال ابن القيم رحمته الله تعالى:

"قاعدة: في ذكر طريق يوصل إلى الاستقامة في الأحوال والأقوال والأعمال، وهي شيان:

أحدهما: حراسة الخواطر وحفظها، والحذر من أهمالها والاسترسال معها، فإن أصل الفساد كله من قبلها يجيء، لأنها هي بذر الشيطان، فإذا تمكن بذرها تعاهدها بسقيه مرة بعد أخرى حتى تصير إرادات، ثم يسقيها حتى تكون عزائم، ثم لا يزال بها حتى تثمر الأعمال، ولا ريب أن دفع الخواطر أيسر من دفع الإرادات

(١) -الداء والدواء، بتصرف.



والعزائم، فيجد العبد نفسه عاجزاً أو كالعاجز عن دفعها بعد أن صارت إرادة جازمة، وهو المفرط إذا لم يدفعها وهي خاطر ضعيف، كمن تهاون بشرارة من نار وقعت في حطب يابس، فلما تمكنت منه عجز عن إطفائها، فإن قلت: فما الطريق إلى حفظ الخواطر؟

قلت: أسباب عدة:

أحدها: العلم الجازم باطلاع الرب تعالى ونظره إلى قلبك وعلمه بتفصيل خواطرك.

الثاني: حياؤك منه.

الثالث: إجلالك له أن يرى مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلقه لمعرفته ومحبته.

الرابع: خوفك منه أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

الخامس: إثارك له أن تساكن قلبك غير محبته.

السادس: خشيتك أن تتولد تلك الخواطر ويستعرّ شرارها، فتأكل ما في القلب من الإيمان ومحبة الله، فتذهب به جملة وأنت لا تشعر.

السابع: أن تعلم أن تلك الخواطر بمنزلة الحَب الذي يُلقى



التربية بالمجاهدة

للطائر ليصاد به، فاعلم أن كل خاطر منها فهو حبة في فخ منصوبٍ لصيدك وأنت لا تشعر.

الثامن: أن تعلم أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر الإيمان ودواعي المحبة والإنابة أصلاً، بل هي ضدها من كل وجه، وما اجتمعا في قلب إلا وغلب أحدهما صاحبه وأخرجه واستوطن مكانه فما الظن بقلب غلبت خواطر النفس والشيطان فيه خواطر الإيمان والمعرفة والمحبة فأخرجتها واستوطنت مكانها، لكن لو كان للقلب حياة لشعر بألم ذلك وأحس بمصابه.

التاسع: أن يعلم أن تلك الخواطر بحر من بحور الخيال لا ساحل له، فإذا دخل القلب في غمراته غرق فيه وتاه في ظلماته فيطلب الخلاص منه فلا يجد إليه سبيلاً، فقلب تملكه الخواطر بعيد من الفلاح معذب مشغول بما لا يفيد.

العاشر: أن تلك الخواطر هي وادي الحمقى وأماني الجاهلين، فلا تثمر لصاحبها إلا الندامة.... " (١)



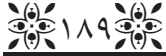
(١) طريق الهجرتين.

٢٥) مجاهدة النفس على التقليل من الخلطة بالناس

• لأن الرغبة في مخالطة الناس والاجتماع بهم بصرف النظر عن الفائدة الشرعية المرجوة منهم صارت ديدن كثير من الناس، فلا يكاد أحدهم يجد ساعة فراغ من مشاغل البيت والأسرة إلا وقد سارع في البحث عنم يؤانسه ويجالسه، بل إن البعض قد يترك مسؤوليته بيته وولده ليبحث عنم يؤانسه ويجالسه!!

وهذا فات على كثير من الناس عبادات عظيمة، كان السلف يحرصون عليها مثل: الخلوة بالنفس، ومناجاة الله، والتفكير، والتدبر، فضلاً عن تحصيل العلم النافع والعمل الصالح، والعناية بالأسرة وتربية الولد.

• ولأن كثرة مخالطة الناس كم سلبت من نعمة، وكم جلبت من نقمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات، تزول الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول.



التربية بالمجاهدة

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " خذوا بحظكم من العزلة " (١)
- قال أبو الدرداء رضي الله عنه: " نعم صومعة الرجل بيته، يكف بصره
ولسانه " (٢)
- وسئلت أمّ الدرداء: ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء؟ قالت:
التفكر والاعتبار " (٣)
- وقال مسروق: " إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها،
فيذكر فيها ذنوبه فيستغفر منها " (٤)
- وقال شيخ الإسلام رحمته الله: " ولا بد للعبد من أوقات ينفرد فيها
بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح
قلبه " (٥)
- وقال ابن الجوزي رحمته الله: " ما رأيت مشتتاً للهيم مبدداً للقلب مثل

-
- (١) - التبصرة ابن الجوزي، روضة الفضلاء ابن حبان.
(٢) - مكارم الأخلاق ومعاليها للخراطي، الآداب الشرعية.
(٣) - الزهد لوكيع بن الجراح.
(٤) - صفة الصفوة.
(٥) - المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية: علوي السقاف.



شيئين:

أحدهما: أن تطاع النفس في كل شيءٍ تشتهيهِ.

والثاني: مخالطة الناس، فيثقل على من ألف مخالطة الناس التشاغل بالعلم أو العبادة، ولا يزال يخالطهم حتى تهون عليه الغيبة وتضيع الساعات في غير شيء " (١)

قال مالك بن دينار: " احفظ عني: كل أخٍ وجليسٍ وصاحبٍ لا تستفيد منه خيراً في أمر دينك فَفَرَّ منه " (٢)

● تنبيه:

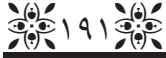
ولا يعني ذلك هجرَ الناس والانزواء منهم، حتى يترك نفعهم وتعليمهم، فقد جاء في الحديث، أن النبي ﷺ قال: " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " (٣)

قال ابن المبارك: قال لي بعضهم في تفسير العزلة: هو أن يكون

(١) - صيد الخاطر .

(٢) - غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني .

(٣) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني .



التربية بالمجاهدة

مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فحُض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فأمسك" (١)

فالضابط في أمر العزلة:

أن يخالط الناس في الخير كالجمعة والجماعة والأعياد والحج وتعلم العلم والجهد والنصيحة، ويعتزلهم في الشر وفضول المباحات، فإذا دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم، فالحذر الحذر أن يوافقهم، وليصبر على أذاهم.

واعلم أن العزلة لم تُشرع لجاهل أو غافل، فالجاهل يحتاج لمصاحبة العلماء، والغافل يحتاج لصحبة أهل الدين؛ ليأخذوا بيده إلى جادة الطريق؛ "فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" (٢)

فخالط، لكن أقبل على نفسك وشأنك، واعتزل، لكن على علم وفهم.

اكتسب من الخلطة إيجابيتها، واستفد من العزلة خيرها، أنو بها كفَّ شرك عن الخلق، والسلامة منهم، والتجرد للعبادة، وإصلاح

(١) - الصمت لابن أبي الدنيا.

(٢) صحيح أبي داود.



القلب.

واعلم كذلك أن الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس، وأن فراغ القلب من العوائق والعلائق التي تشغله عن ربه، لا تأتي بالمخالطة، فكم سلبت الخلطة من خير، وكم جلبت من شرٍّ وضُرّ.

فالعزلة تنفع العالم العاقل، وتضر الجاهل الغافل، وإذا كان في المخالطة خيرٌ، ففي العزلة السلامة، ورحم الله الشافعي حين قال لصاحبه: "يا يونس، الانقباض على الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط" (١)

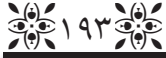
كيف أجاهد نفسي على التقليل من الخلطة بالناس؟

أن يتعرّف العبد على الواقع الحقيقي للناس، وأحوالهم، فيقترب من النافع منهم على قدر نفعه، ويجتنب ما يضره:

فالناس أقسام أربعة:

أحدها: من مخالطته كالغذاء لا يُستغنى عنه في اليوم والليلة، فإذا

(١) حلية الأولياء.



التربية بالمجاهدة

أخذ حاجته منه ترك الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه، هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر، وهم العلماء بالله وأمره، الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه، فهذا الضرب في مخالطته الربحُ كله.

القسم الثاني: من مخالطته كالدواء يُحتاج إليه عند المرض، فما دمت صحيحاً فلا حاجة لك في خلطتهم، وهم من لا يُستغنى عن مخالطتهم في مصالح المعاش.

القسم الثالث: من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه.

القسم الرابع: من مخالطته الهلاك كله، بل مخالطته بمنزلة أكل السم، وما أكثر هذا الضرب في الناس - لا أكثرهم الله - وهم أهل البدع والضلالة الذين يصدون عن سبيل الله وعن سنة رسوله ﷺ.

وقال بعضهم: الاجتماع بالناس قسمان:

أحدهما: اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت، فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقل ما فيه أنه مفسدٌ للقلب ومضيعٌ للوقت.

الثاني: الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها.



ألا إن كل امرئٍ طيبٍ نفسه، يعلم ما يضرُّه وما يُصلحه، فتعاهد قلبك، وانظر ما يُصلحه، واذهب إلى الله بضعفك يأتك بقوته، وادعُه دعاء المضطر، ينظرُ إليك بعين رحمته، فهو وحده حسبنا وهو نعم النصير.



(٢٦) مجاهدة النفس على تدبر القرآن

• لأن الله تعالى إنما أنزل القرآن لينذر الناس، ليزكي نفوسهم، ليصلح قلوبهم وأحواله، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١] وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ ۝ [البقرة: ١٨٥] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [البقرة: ٢].

فهو هدى لعموم الناس، بمعنى أنه يبيِّن لهم طريق الرشاد، وهو هدى للمتقين، بمعنى أنهم هم الذين ينتفعون به ويستفيدون منه ويستضيئون بنوره.

ولا تتأتى هذه الهداية إلا إذا تدبرنا معناه وتفهمنا مغزاه كما قال تعالى: ﴿كُنْزٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝﴾ [ص: ٢٩]

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: " فيه دليلٌ على وجوب معرفة معاني القرآن... " (١)

(١) -الجامع لأحكام القرآن: القرطبي.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] فلا ينتفع بالقرآن ولا يهتدى به إلا من ألقى له سمعه وأحضر له قلبه، وهذا هو التدبر.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال: ٢]

كيف كان الرسول ﷺ وأصحابه يقرؤون القرآن؟

عن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ " (١)

وعن أبي ذر رضي الله عنه: قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية، أصبح يرددّها: ﴿ إِنْ تُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] (٢)

وعن عبد الله بن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: قلت لأسماء بنت أبي

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه والنسائي وحسنه الألباني.



التربية بالمجاهدة

بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت:
كانوا كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتتشعر قلوبهم. (١)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لقد عشنا دهرًا طويلًا، وإن
أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على محمد ﷺ فتعلم
حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها، ثم
لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ فاتحة
الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف
عنده منه، ينثره نثر الدقل " (٢)

وسئل زيد بن ثابت: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟ قال:
حسن، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشرين أحب إليّ، وسلني لم
ذلك؟ قال: فإني أسألك، قال: لكي أتدبره وأقف عليه " (٣)

وعن عثمان وابن مسعود وأبي ابن كعب رضي الله عنهم، أن رسول الله ﷺ
كان يُقرؤهم العشر، فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى، حتى يتعلموا ما
فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً " (٤)

(١) - الزهد والرقائق: ابن المبارك، الجامع لشعب الايمان، للبيهقي.

(٢) - السنن الكبرى للإمام البيهقي.

(٣) - مصنف عبد الرزاق.

(٤) - الجامع لأحكام القرآن.



قال الحسن بن عليّ: إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدها بالنهار. (١)

❖ كلمات من نور:

• قال محمد بن كعب القرظي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَأَنْ أَقْرَأَ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا﴾ و ﴿الْقَارِعَةُ﴾، أُرْدِّدَهُمَا، وَأَتَفَكَّرُ فِيهِمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبَيِّتَ أَهْزُ الْقُرْآنَ. (٢)

• قال بشر السُّريّ: "إنما الآية مثل التمرة كلما مضغتها استخرجت حلاوتها" (٣)

• قال ابن مسعود: " لا تهزوا القرآن هز الشعر ولا تنثروه نثر الدَّقَل، فقوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة" (٤)

• قال ابن تيمية: من تدبر القرآن طالباً الهدى منه، تبين له طريق الحق" (٥)

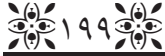
(١) - التبيان: للإمام النووي.

(٢) - الزهد لابن المبارك.

(٣) البرهان في علوم قرآن.

(٤) - أخلاق حملة القرآن للأجري.

(٥) - العقيدة الواسطية.



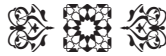
التربية بالمجاهدة

• قال ابن القيم:

تدبر القرآن إن رُمّت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن^(١)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على تدبر القرآن؟

- ١- إحضار القلب وترك حديث النفس.
- ٢- تعظيم المتكلم (الله).
- ٣- التفهم لما تقرأ.
- ٤- التكرار.
- ٥- أن تعلم أنك المخاطب.
- ٦- الترتيل " لا التعجيل".
- ٧- ضع القرآن على قائمة أولوياتك (لا يشغلك شيء عنه).



(١) - النونية: ابن القيم.



(٢٧) مجاهدة النفس على الخشوع في الصلاة

• لأن الخشوع في الصلاة هو المقصود من الصلاة: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

وقال ﷺ: " ما من أحدٍ يتوضأ، فيحسنُ الوضوء ويصلي ركعتين يُقبل بقلبه ووجهه عليهما، إلا وجبت له الجنة " (١)

وتوضأ النبي ﷺ يوماً بين يدي أصحابه ثم قال: " من توضأ وضوئي هذا، وصلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غُفر له ما تقدم من ذنبه " (٢)

وفي المقابل:

يقول ﷺ: "إن الرجل لينصرف من صلاته، وما كُتِب له إلا عشرُها وتسعها وثمانها وسبعها وسدسها وخمسها وربعها وثلثها

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.



التربية بالمجاهدة

ونصفها " (١)

وقال ﷺ: " أسوأ الناس سرقةً، الذي يسرق في صلاته " فتعجب الصحابة الكرام، وقالوا: يا رسول الله، كيف يسرق أحدنا في صلاته؟ فقال: " لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها " (٢)

وإنما كان أسوأ الناس سرقةً، لأنه يسرق في بيت الملك، وهو واقفٌ بين يديه، ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب، ولأن سارق الدنيا ينتفع بما يسرقه ويتمتع به، أما هو فيسرق من حق نفسه في الثواب، فيشتري بذلك العقاب في الآخرة، فأقبح بها من سرقة، وأعظم بها من جناية!

• ولأن الصلاة الخاشعة هي الصلاة المؤثرة: أي التي يظهر أثرها في حياة صاحبها، على وجهه، على خلقه، في قلبه، في قبره، عند لقاء ربه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ولذلك نجد أن كثيراً من الناس يصلي! ثم يخرج ينظر إلى

(١) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما بسند صحيح.

(٢) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.



الحرام، أو يأكل الربا، أو يظلم الناس!!

لماذا لم تنههم صلاتهم عن الأقوال والأعمال المنكرة؟ أين أثر صلاتهم في حياتهم؟ لماذا لا يتغيرون بالصلاة؟

الجواب: لأن الواحد منهم لا يحسن يصلي، إنه بحاجة إلى أن يعرف لمن يصلي؟ لمن يركع ويسجد؟ بين يدي من يقف؟

اعتناء السلف رضي الله عنهم بالخشوع في الصلاة:

• صعد عمر بن الخطاب المنبر يوماً، فقال: إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام، وما أكمل الله تعالى صلاة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها " (١)

• قال حذيفة: " إياكم وخشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع " (٢)

• كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا حضرت الصلاة يتلون وجهه، فقيل له يوماً: مالك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء

(١) - إحياء علوم الدين.

(٢) - مدارج السالكين.



التربية بالمجاهدة

وقت أمانة عَرَضَها الله على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملتها " (١)

• وكان عليّ بن الحسين يعتريه ذلك عند الوضوء، فيقول:
أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟ (٢)

• وسئل حاتم الأصم عن صلاته؟ فقال: إذا حانت الصلاة
أسبغتُ الوضوء، وأتيتُ الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فأقعد حتى
تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي،
والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت من ورائي،
أظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الخوف والرجاء، أكبر تكبيراً بتحقيق،
وأقرأ قراءةً بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بخشوع،
وأُتبع ذلك كله بالإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا؟! (٣)

• قال سهل بن عبد الله التستري: " من خشع قلبه لم يقر به
الشیطان " (٤)

- (١) - إحياء علوم الدين.
- (٢) - إحياء علوم الدين.
- (٣) - إحياء علوم الدين.
- (٤) - مدارج السالكين.



كيف يجاهد الإنسان نفسه على الخشوع في الصلاة؟

١- التبكير إلى الصلاة:

بالاستعداد لها، والحرص على الصف الأول، والتكبير الأولى مع الإمام، ذلك مما يشعرك بحلاوة الطاعة ولذة العبادة، فيتأتى الخشوع.

٢- ادفع الشواغل: كمدافعة الأخبثين، وحضور الطعام، الانشغال بأمور الدنيا.

٣- احذر شيطان الصلاة:

عن أنس رضي الله عنه أن عثمان بن أبي العاص، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يلبسها عليّ، فقال صلى الله عليه وسلم: ذاك شيطان يقال له: خذب، فإذا أحسسته، فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عني" (١)

٤- استشعار مناجاة الله:

رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً ينقر الصلاة، فقال له: يا فلان ألا تتقي الله؟

(١) رواه مسلم.



التربية بالمجاهدة

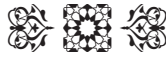
ألا تنظر كيف تصلي؟ إن أحدكم إذا قام يُصلي، إنما يقوم يناجي ربه،
فلينظر كيف يُناجيه؟" (١)

٥- صل صلاة مودّع:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً، فقال: يا رسول الله،
حدثني حديثاً واجعله موجزاً، فقال: " صل صلاة مودّع، فإنك إن
كنت لا تراه، فإنه يراك، وأيس مما في أيدي الناس تعش غنياً، وإياك
وما يُعتذر منه " (٢)

٦- تفهم ما تقول: بدايةً من التكبير إلى التسليم، فإن ذلك من أكبر
العون على خشوعك لله وتحسين وقوفك بين يديه.

واعلم أن لك بين يدي الله موقفين: موقفاً بين يديه في الصلاة،
وموقفاً بين يديه يوم القيامة، فمن قام بحق الموقف الأول هوّن الله
عليه الموقف الآخر، ومن استهان بالموقف الأول ولم يوفّه حقه،
شدّد الله عليه الموقف الآخر.



(١) رواه مسلم والنسائي وغيرهما.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وانظر الصحيحة.



(٢٨) مجاهدة النفس على قيام الليل

• لأن قيام الليل دأب الصالحين قبلنا، فهو منتظرهم وتجارتهم وعملهم، فيه يخلون برهم راجين رضاه، فرضي عنهم، وأورثهم وضاءً في وجوههم، واستقامةً في أعمالهم، وإخلاصاً في قلوبهم، وفراصةً في سرائرهم، فهم يرون بنور الله، ويتمتعون في جوف الليل بالصلاة أكثر مما يتمتع أهل اللهو بلهوهم وأهل اللعب بلعبهم.

قال ﷺ: "عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربةً إلى ربكم، ومكفرةٌ للسيئات، ومنهأةٌ عن الإثم، ومطردهٌ للداء عن الجسد" (١)

• ولأن قيام الليل مدرسة الإخلاص:

قال قتادة: "ما قام الليل منافق" (٢)

(١) أخرجه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي، وصححه الألباني.

(٢) - سير أعلام النبلاء الذهبي، والحلية.



التربية بالمجاهدة

وهل تجد الصبر، والصلاة، وعلوَّ الهمة، وعمل السر، إلا في قيام الليل، تربى عليه الرعيل الأول في بدء الدعوة اثني عشر شهراً كاملاً، ثم رُفِعَ وجوبه عنهم، فما تركوه.

ياليل قيامك مدرسة فيها القرآن يُدرّسني
معنى الإخلاص فألزمه نهجاً بالجنة يُجلسني
ويُبصّرني كيف الدنيا بالأمل الكاذب تغمسني
فأباعدها وأعاندها وأراقبها تتهجسني
فأشد القلب بخالقه والذكر الدائم يحرسني
ولأن النبي ﷺ حثنا على قيام الليل، ورغبنا فيه، قولاً وعملاً:

❖ قال النبي ﷺ: " إن في الجنة غرفاً، يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام " (١)

❖ وقال ﷺ: " أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل " (٢)

(١) رواه ابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه مسلم.



❖ وقال ﷺ: " رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء" (١)

❖ وقال ﷺ: " إن في الليل ساعة لا يوافقها رجلٌ مسلمٌ، يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة، إلا أعطاه الله إياه وذلك كل ليلة" (٢)

❖ وذكر عند النبي ﷺ رجلٌ نام ليلة حتى أصبح، فقال: ذاك رجلٌ بال الشيطان في أذنيه " متفق عليه.

❖ وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: " يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل" (٣)

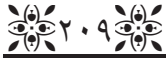
❖ وعن عبد الله بن عمر، أن النبي ﷺ قال: " نعم الرجل عبد الله، لو كان يُصلي بالليل"، قال سالم - مولى عبد الله -: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً" (٤)

(١) رواه أبو داود والنسائي وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.



التربية بالمجاهدة

❖ وكان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة رضي الله عنها: " لِمَ تصنعُ هذا يا رسول الله، وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: " أفلا أكون عبداً شكوراً " (١)

❖ وعنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يُصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يُصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يُصلي ثلاثاً... " (٢)

• ليل الصالحين:

- كانت جارية الحسن بن صالح بن حَبِيٍّ، تقوم الليل مع سيدها، فلما باعها قامت عند قومها في جوف الليل، فقالت: يا أهل الدار الصلاة الصلاة! قالوا: أطلع الفجر؟ قالت: وليس تصلون إلا المكتوبة؟ قالوا: نعم ليس نُصلي إلا المكتوبة، فرجعت إلى الحسن وقالت: بعثني إلى قومٍ سوء، لا يصلون بالليل، بالله رُدَّني فردَّها، وفاءً لحقها (٣)

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) - لطائف المعارف، إحياء علوم الدين.



- أبو هريرة رضي الله عنه: كان يقوم ثلث الليل، وتقوم امرأته ثلث الليل، إذا نام هذا قام هذا، فيحيون الليل جميعاً. (١)

- قال الحسن: ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة المال، فقيل له ما بال المتتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلّوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره. (٢)

• قيل لبشر بن الحارث: ألا تستريح في الليل ساعة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام حتى تورمت قدماه، وقطر منها الدم، مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف أنام وأنا لم أعلم أن الله غفر لي ذنباً واحداً! (٣)

كيف يجاهد الإنسان نفسه على قيام الليل؟

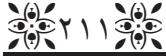
١- عقد العزم والنية على قيام الليل:

فإذا حصل العزم، وتأكدت النية، واستعين بالله، كانت خطوة قوية على طريق القيام، وإن لم تقم يُكتب لك كأنك قمت، فقد قال

(١) - الزهد، للإمام أحمد.

(٢) - غذاء الألباب شرح منظومة الآداب.

(٣) - صفة الصفوة: ابن الجوزي.



التربية بالمجاهدة

عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: "من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي الليل، فغلبته عينه حتى أصبح، كُتِبَ له ما نوى، وكان نومه صدقةً عليه من ربه" (١)

٢- قلة الطعام:

قال سفيان: " عليكم بقلة الطعام، تملكوا من الليل القيام" (٢)

٣- التخلص من المعاصي:

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد إني أبيت معافى، وأُعدُّ طُهورِي، فما بالي لا أقوم؟ فقال: قيدتك ذنوبك. (٣)

قال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بسبب ذنب أذنبته، قيل: وما هو؟ قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي: هذا مُرَأٍ. (٤)

٤- التخلص من السهر، إلا لحاجة.

٥- طيب المطعم.

٦- استعينوا بالقيولة على قيام الليل.

(١) صحيح سنن النسائي.

(٢) - رهبان الليل.

(٣) - إحياء علوم الدين.

(٤) - إحياء علوم الدين.



٧- تعاون أهل البيت والأصحاب.

٨- النوم على طهارة.

٩- الدعاء.

١٠- قراءة سير المتهجدين. (١)



(١) - وأحيلك إلى كتاب "رهبان الليل" د سيد حسين عفاني، ففيه الكفاية لمن أراد الغوص في هذا البحر الخِصَمِّ.

(٢٩) مجاهدة النفس على سلامة الصدر

• لأن وراءنا يوماً عظيماً أمره شديداً هوله، لا ينفع فيه مال ولا بنون، وإنما ينفع العبد أن يأتي ربه بقلب سليم، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] أي: سليم من الأحقاد والأغلال والأحساد.

ولذلك لا تطأ أقدام أهل الجنة الجنة، إلا بعد أن ينزع الله ما في قلوبهم من غل، ويرفع ما في نفوسهم من حسد وشحناء، فتصبح بواطنهم كظواهرهم، صفاء ونقاء، جمالاً وبهاءً، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

• ولأن نقاء القلوب وصفاء النفوس وسلامة الصدور، مطالب شرعية عظيمة يجب أن يتحلى بها كل مسلم.

قال تعالى - وهو يمدح المهاجرين والأنصار -: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].



وقيل للنبي ﷺ: أيُّ الناس أفضل؟ قال: هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد" (١)

وقال ﷺ: " لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث" (٢)

وقال ﷺ: " تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيُغفر لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا" (٣)

اعتناء السلف ﷺ بسلامة الصدر:

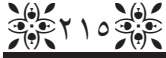
• قال سفيان بن دينار: قلت لأبي بشير - وكان من أصحاب عليّ ﷺ -: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيراً، ويؤجرون كثيراً، قلت: ولم ذلك؟ قال: لسلامة صدورهم. (٤)

(١) صحيح سنن ابن ماجه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) - عن الزهد لابن السري.



التربية بالمجاهدة

• عن زيد بن أسلم قال: دُخِلَ على أبي دجانة رضي الله عنه وهو مريض، وكان وجهه يتهلل، فقيل له: مَا لَكَ يَتَهَلَّلُ وَجْهَكَ؟ قال: ما من عملي شيءٌ أوثق عندي من اثنين، أما أحدهما: فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى: فكان قلبي سليماً للمسلمين " (١)

• قال القاسم الجوعِي رحمته الله: " أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأقصر طريق إلى الجنة سلامة الصدر " (٢)

• ابن السماك الواعظ: وقع بينه وبين أحد إخوانه شيء، فقال له أخوه: الميعاد بيني وبينك غداً نتعاب، فقال له ابن السماك: بل بيني وبينك غداً نتغافر. (٣)

ونظمها بعضهم شعراً، فقال:

من اليوم تعارفنا ونطوي ما جرى منا
فلا كان ولا صار ولا قلتم ولا قلنا
وإن كان لا بد من العتبي فبالحسنى

(١) - سير أعلام النبلاء، وصفة الصفوة.

(٢) - بستان العارفين للإمام النووي، صفة الصفوة.

(٣) - العوايق: محمد أحمد الراشد.



• قال الملك العادل للعز بن عبد السلام يوماً: اجعلني في حلّ، فأجابه العز قائلاً: أما محاللتك، فإني في كل ليلة أحالّل الخلق، وأبيت وليس لي عند أحد مظلمة، وأرى أن يكون أجري على الله، ولا يكون على الناس" (١)

كيف يجاهد العبد نفسه على سلامة الصدر؟

- ١- أن تعلم يقيناً أن من أعظم ما يستلذ به الشيطان ويسعى إليه، بث الضغائن والأحقاد بين المسلمين، ففي الحديث المرفوع: " إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم" (٢)
- ٢- أن تجتهد في تحقيق الإخلاص لله، فمن أخلص لله سلّم قلبه، وخلا من كل مكروه، فقد قال ﷺ: " ثلاث لا يُعَلُّ عليهن قلبُ امرئٍ مسلم (٣): إخلاص العمل لله، ومناصحة المسلمين، ولزوم جماعتهم" (٤)

(١) - بشرىات السلامة من أهوال يوم القيامة جميلة المصري ص ٢٦٧.

(٢) رواه مسلم.

(٣) أي لا يحمل في قلبه غلاً ولا حسداً.

(٤) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.



التربية بالمجاهدة

٣- إذا أردت أن يسلم صدرك على من بينك وبينه شحناء، فأكثر من الدعاء له، واذكر محاسنه بين الناس، فبذلك تكون قد أجمت نفسك ورددت كيد شيطانك.

٤- تذكر فضيلة العفو والصفح: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠].

٥- تخلّص من الجدل.

٦- تخلص من سوء الظن.

٧- الزم إفشاء السلام.

٨- قراءة القرآن بتدبر: قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْوِينُ مَوْعِظَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [يونس: ٥٧].

٩- الدعاء واللجأ إلى رب الأرض والسماء، بأن يُذهب الله وحر صدرك، وسخيمة قلبك.



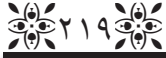
(٣٠) مجاهدة النفس على الحرص على الوقت واستغلاله

• لأن الوقت هو الحياة، وهو رأس مال الانسان الذي يتاجر به مع الله في هذه الحياة، والناس في ذلك بين رابح وخاسر، فمن استغل وقته في طاعة الله فهو الرابح، ومن قضاه فيما لا ينفع، وقد يضر فهو الخاسر.

• ولأن أخطر مصيبة تواجه الأمم والأفراد، هي مصيبة تضييع الأوقات، وذلك يعني تضييع الحياة، لأن كل فائت يُستدرك إلا فائت الزمن، المال يُستدرك، والجاه يُستدرك، والمرأة تُستدرك، السيارة تُستدرك، إلا فائت الزمن لا يُستدرك.

قال الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " يا ابن آدم إنما أنت أيام، إذا مضى يومٌ مضى بعضك، وإذا مضى بعضك مضى كلك " (١)
دقات قلب المرء قائمةٌ له إن الحياة دقائق وثوان

(١) - جامع العلوم والحكم.



التربية بالمجاهدة

● ولأن الغالبية العظمى لا يعرف قيمة الوقت الحقيقية، ولذلك كثيراً ما تراه مهدرًا، مع أننا كثيراً ما نردد: الوقت هو الحياة، الوقت من ذهب، الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونحوها.

ولكن القليل هو الذي يعرف هدفه في الحياة، وأقل منهم من يعرفون ويخططون لتحقيق هذه الأهداف، وكثيراً ممن يخططون يتعثرون ولا يصلون إلى ما يريدون.

وحكي عن جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللهُ: أنه مرَّ على مقهى فرآهم يلعبون ويلهون، فصرخ قائلاً: لو أن هؤلاء يبيعونني أوقاتهم، فإني لا أجد وقتاً للنوم ولا للطعام "

● ولأن الناظر في أحوال المسلمين اليوم يجد أن من أسباب تخلفهم عن قيادة البشرية إلى ما فيه نفعها في الدنيا والآخرة، هو عدم اهتمامهم بالوقت أو سوء التخطيط لاستغلاله، أو استغلاله لتحقيق أهداف لا تتوافق مع ما شرعه الله تعالى.

كما أن الناظر في حياة أعداء الإسلام يجد أن من أسباب تفوقهم المادي، هو حسن التخطيط لاستغلال الوقت في تحقيق مآربهم في الشر أو في الخير، كما أنهم يُربُّون أولادهم على ذلك، ويغرسون



فيهم حبّ التخطيط والتنظيم والحرص على استغلال الوقت. (١)
 • ولأن الله تعالى سائلنا يوم القيامة عما ضاع من أوقاتنا فيما لا
 ينفع.

فكل الناس يعلم أنه ميت، لكن القليل هو الذي يستشعر أنه
 محاسب على وقته يوم يلقي الله تعالى، فيقول له: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا
 يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: " لا تزول قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به؟ " (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: " اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك " (٣)

ومن هنا حرص السلف رضي الله عنهم على أوقاتهم، واستخدموها فيما

(١) - إدارة الوقت: خالد السويفي.

(٢) رواه الترمذي وغيره وانظر صحيح الجامع.

(٣) رواه الحاكم والبيهقي في الشعب وانظر صحيح الجامع.



التربية بالمجاهدة

ينفعهم بين يدي ربهم.

• قال ابن مسعود رضي الله عنه: " ما ندمتُ على شيءٍ ندمي على يومٍ غربت شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي " (١)
إذا مرَّ بي يومٌ فلم أقتبس هدىً

ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

• قال أبو الوفاء بن عقيل رحمته الله: " إنه لا يحلُّ لي أن أضيع ساعةً من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في الثمانين، أشد مما كنت وأنا ابن العشرين " (٢)

قوم عرفوا قيمة الوقت وشرف الزمان!

• يقول ابن الجوزي رحمته الله: فواعجباً من مضيع للحظة، فتسيحةً يُغرس لك بها في الجنة نخلة " (٣)

(١) - مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار: عبد العزيز السلطان.

(٢) - عجز الثقات، نقلاً عن سير أعلام النبلاء.

(٣) - صيد الخاطر: ابن الجوزي.



• قال الحسن: " وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج، سمعته يقول: " إن امرأً ذهبت ساعةً من عمره في غير ما خلق له، لحرِيَّ أن تطول حسرتُهُ إلى يوم القيامة " (١)

إحصائية مهمة:

تُبين أهمية العمر، والحرص عليه بما يثير الغيرة لدى الإنسان المسلم. (٢)

لنفرض أن الإنسان يعيش عمراً افتراضياً مدته سبعون سنة، فإذا ضَيَّع المسلم خمس دقائق يومياً، فإن هذا يعني أنه أضاع من مجموع العمر كله ثلاثة أشهر تقريباً (٨٨ يوماً).
وتأمل هذا الجدول تتضح لك المسألة أكثر.

المجموع من الوقت الافتراضي	الوقت الضائع
ثلاثة أشهر	٥ دقائق
ستة أشهر	١٠ دقائق

(١) - المفصل في فقه الدعوة.

(٢) - إدارة الوقت: خالد السويفي.



التربية بالمجاهدة

سنة كاملة	٢٠ دقيقة
ثلاث سنوات	ساعة كاملة
ثلاثون سنة	عشر ساعات

وتأمل هذا الجدول يتبين لك كيف يضع العمر من الإنسان:

السنوات	النشاط المستغرق للوقت
٢٣ سنة	نوم (٨) ساعات يومياً
٢١,٥	عمل من س ٧ - س ٢,٥ يومياً
٤,٥	الأكل والشرب ساعة ونصف يومياً
٣ سنوات	أعمال منزلية ورحلات وتنزه ونحوها ساعة واحدة يومياً
١,٥	لقاءات اجتماعية وودية بين الأصدقاء نصف ساعة يومياً
١,٥	تنقلات نصف ساعة يومياً
١,٥	اتصالات نصف ساعة يومياً



٥٦,٥	المجموع
١٣,٥	الباقى من السبعين

إذا حذفت من ذلك فترة المراهقة وزمن الطفولة، فكم يا ترى يبقى من الوقت للأعمال الكبيرة والمشاريع الطموحة والأهداف النبيلة؟

كيف يجاهد الإنسان نفسه على الاستفادة من الوقت والحرص عليه؟

- ١- استشعار أن الوقت هو الحياة (حقيقة).
- ٢- استشعار ضخامة المسؤولية غداً بين يدي الله.
- ٣- دوام النظر في سير السلف ومعرفة أخبارهم.
- ٤- التخلص من الصحبة السيئة والارتقاء في أحضان الطيبين.
- ٥- الحرص على التخطيط والتنظيم والتنفيذ لأي عمل من الأعمال، وذلك من خلال جدول واضح يستغرق أهدافك وأعمالك، فإن أعظم المعوقات لاستثمار الأوقات ترك التنظيم والتخطيط، وإذا كان أرباب الدنيا لا يستطيعون الوصول إلى ما يأملون من أهداف إلا بتخطيط وتنظيم دقيقين، فإن المسلم لا



التربية بالمجاهدة

يستطيع تحقيق أهدافه الأخروية والوصول إلى محاب الله ومراضيه
إلا بحسن تعامله مع وقته تخطيطاً وترتيباً وتنظيماً. (١)



(١) وهذه من وجهة نظري، أهم شيء بعد عون الله، لاستثمار الوقت.



(٣١) مجاهدة النفس على المداومة على العمل الصالح

لأن مقصود الشارع من الأعمال، ليس مجرد القيام بها، ولكن دوائم المكلف عليها: والأدلة على ذلك كثيرة.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]، أي الموت، فليس المراد مجرد القيام بالعبودية، ولكن المداومة عليها حتى الموت.

وقال تعالى - عن عيسى عليه السلام -: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ﴿١١﴾ [مريم: ١٣]

وقال تعالى - وهو يصف عباده المؤمنين -: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿١١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المعارج: ٩١-٣٢]، وفي نفس السورة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ [المعارج: ٤٣]

وقال تعالى - وهو يصور هذه الصورة المقيتة، صورة انقطاع الأعمال -: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ



التربية بالمجاهدة

فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٢٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٢٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٢٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٢٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٢٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٣١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴿[النجم: ٣٣-٤٢].

ففي هذه الآيات يُلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى أولئك الذين تنقطع بهم أعمالهم الصالحات، ويتولون عن العطاء والبذل والتضحية، وهم لم يُعطوا حقاً لربهم إلا قليلاً، فصورتهم كصورة باحثٍ عن ماءٍ لِيُطَهِّرَ نفسه ويرتوي، فجعل يحفر بئراً، فبينما هو يحفر، إذ كُديّة [صخرة] تواجهه، فيتوقف عن الحفر والعمل والبحث عما يُسعده، فلا هو انتفع بما حفر سابقاً، ولا هو انتفع بماءٍ وَجَدَهُ.

كما يُلفت القرآن أنظارنا، أن هذا الشخص المنقطع عن العمل، لم يَعْلَمْ الغيب حتى يرى هل له عُمْرٌ آخر يستطيع أن يتدارك فيه ما قَصَّر!

كما لفت القرآن أنظارنا إلى أن العبد لا ينفعه سوى سعيه الدائم وعمله المستمر، وعلى قدر الديمومة يكون حسن الجزاء عند الله.

وسئلت عائشة رضي الله عنها: أي العمل كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟



قالت: "الدائم" (١)

وسئلت: هل كان رسول الله ﷺ يَخْصُ شيئاً من الأيام؟ قالت:

لا، كان عمله ديمة. (٢)

وكان ﷺ يقول: "أحب العمل إلى الله أدومه، وإن قلَّ" (٣)

ولأنه لا نهاية للعمل إلا بنهاية الأجل:

قال الحسن: "أَيُّ قَوْمٍ، الْمُدَاوِمَةَ الْمُدَاوِمَةَ؟ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ

لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ أَجْلاً دُونَ الْمَوْتِ"

وقال: "إِذَا نَظَرَ إِلَيْكَ الشَّيْطَانُ فَرَأَكَ مُدَاوِمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَبَعَاكَ

وَبَعَاكَ، فَرَأَكَ مُدَاوِمًا مَلَكًا وَرَفَضَكَ، وَإِذَا كُنْتَ مَرَّةً هَكَذَا وَمَرَّةً هَكَذَا

طَمِعَ فِيكَ" (٤)

وقيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: "لعل الكلمة

التي أنتفع بها ما كتبتها بعد" (٥)

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وصححه الألباني.

(٤) الزهد والرفائق لابن المبارك، والزهد لنعيم بن حماد.

(٥) طرح الشريب في شرح التقريب.



التربية بالمجاهدة

ولأن المداومة على العمل الصالح من أعظم أسباب نيل محبة

الله:

وهي غاية أمانى المؤمنين، الذين هم أشدُّ حبًّا لله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" (١)

ولأن المداومة على العمل الصالح من أعظم أسباب حسن

الخاتمة:

فلا يزال المؤمن يجاهد نفسه على أداء الطاعات، كما يصبر عن المعاصي والسيئات، حتى يختم الله تعالى له خاتمةً حسنة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٩٦]

(١) رواه البخاري.



وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَعَجَبُوا بِأَحَدٍ، حَتَّى تَنْظُرُوا بِمِ يَخْتَمُ لَهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمُرِهِ، أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ، بِعَمَلٍ صَالِحٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْمَلُهُ؟ قَالَ " يُوفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ " (١)

وفي رواية: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا طَهَّرَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، قَالُوا: وَمَا طَهَّرَ الْعَبْدَ؟ قَالَ: عَمَلٌ صَالِحٌ يُلْهِمُهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ عَلَيْهِ " (٢)

وفي رواية: " ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قِيلَ: وَمَا عَسَلَهُ؟ قَالَ: يَفْتَحُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ " (٣)

ولأن المداومة على الطاعة سبب النجاة يوم القيامة، والاستغلال

بظل عرش الرحمن جل جلاله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ،

(١) أخرجه أحمد في المسند، وقال محققه: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) انظر صحيح الجامع.

(٣) انظر صحيح الجامع.



التربية بالمجاهدة

يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ" (١)

ووجه ذلك: أن عدل الإمام، ونشوء الشاب في طاعة الله، وتعلق القلب بالمساجد، وتحابب الرجلين في الله، لا بد في ذلك كله من الاستمرار والديمومة، حتى يتم الفوز بهذا الفضل العظيم.

ولأن المداومة على العمل الصالح عنوان الإخلاص:

لأن ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

ولأن المداومة على الطاعات سبب الأمن من الحسرة عند

المرض أو العجز أو الفتنة:

ذلك لأن المداوم حين يُحال بينه وبين العمل، يجري له ما كان يقوم به من العمل.

عن أبي بُرْدَةَ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى مَرَارًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(١) متفق عليه.



"إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا" (١)

التطبيق العملي في جيل الصحابة:

وعى الصحابة الكرام هذا المقصود وعياً سليماً، فكان الواحد منهم لا ينقطع عن عمل أبداً حتى يكمله، وكانوا يعملون بالسنة ويتشبهون بها حتى يلقون ربهم مستمسكين بها.

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا كَانَتْ تُصَلِّي الصُّحَى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ، ثُمَّ تَقُولُ: لَوْ نُشِرَ لِي أَبُوَايَ مَا تَرَكْتُهَا. (٢)

- وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " أَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، حَتَّى وَضَعَ قَدَمَهُ بَيْنِي وَبَيْنَ فَاطِمَةَ، فَعَلَّمَنَا مَا نَقُولُ إِذَا أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا: ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً " قَالَ عَلِيٌّ: " فَمَا تَرَكْتُهَا بَعْدُ " فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: " وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ " (٣)

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مالك في الموطأ، وصححه الألباني في المشكاة.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، وقال محققه: سنده صحيح على شرط الشيخين.



التربية بالمجاهدة

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِبِلَالٍ، عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: " يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ " قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ " (١)

كيف يجاهد العبد نفسه على الطاعات، ويداوم عليها؟

١- استعن بالله:

فإن من أعانه الله فهو المعان، فاطلب العون من الله تعالى أن يسدّدك ويوفّقك ويؤيّدك ويعينك على العمل الصالح، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ: " يا معاذ، لا تدع أن تقول دبر كل صلاة: " اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " (٢)

٢- الزم الدعاء:

من أعظم أسباب الثبات على الطاعة، فلقد كان أكثر دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " (٣)

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح سنن الترمذي.

(٣) صحيح سنن الترمذي.



٣- اهتَمَّ بِصَلَاحِ قَلْبِكَ:

فالقلب هو الملك، والجوارح جنوده ورعاياه، فإذا صلح الملك صلحت الجنود والرعايا، كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".

وإصلاح القلب يتم بشيئين:

الأول: عمارته بالأعمال الطيبة، كالشكر والخوف والإخلاص، ومحبة الله تعالى، ونحو ذلك.

الثاني: تنقيته من الأخلاق الرديئة، والخصال السيئة، كالرياء والحسد والغرور، والتعلق بغير الله، ونحو ذلك.

فإذا ثبت القلب على الطاعة، ثبتت الجوارح تبعاً له.

٤- الصَّحْبَةُ الصَّالِحَةُ:

لأن الإنسان ينشط إذا رأى إخوانه من حوله على قربةٍ وطاعة، ويشعر بالخجل إذا رأى نفسه مقصراً بين قومٍ مُجِدِّين، فالعاقل يصحب الأَخْيَارَ من أهل الفضل والعلم والصلاح، الذين إذا رآهم



التربية بالمجاهدة

ذكر الله، فقد قال ﷺ: "إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِقَ لِلشَّرِّ، مَغَالِقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ" (١)

وقال ﷺ: "المرء على دين خليله، فليُنظر أحدكم من يخال" (٢)

٥- التخلص من المعاصي:

فالمعاصي تقيّد صاحبها عن الطاعة، وتحجبه عن البر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلذَّنْبِ عُقُوبَةٌ إِلَّا أَنْ يَصُدَّ عَنْ طَاعَةٍ تَكُونُ بَدَلَهُ، وَيَقْطَعَ طَرِيقَ طَاعَةٍ أُخْرَى، فَيَنْقَطِعَ عَلَيْهِ بِالذَّنْبِ طَرِيقٌ ثَالِثَةٌ، ثُمَّ رَابِعَةٌ، وَهَلُمَّ جَرًّا، فَيَنْقَطِعُ عَلَيْهِ بِالذَّنْبِ طَاعَاتٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَهَذَا كَرَجُلٍ أَكَلَ أَكْلَةً أَوْجَبَتْ لَهُ مَرَضَةً طَوِيلَةً مَنَعَتْهُ مِنْ عِدَّةِ أَكْلَاتٍ أَطْيَبَ مِنْهَا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ" (٣)

(١) صحيح سنن ابن ماجه.

(٢) صحيح سنن أبي داود.

(٣) الجواب الكافي.



٦- التوسط والاعتدال في الأعمال، وترك الإفراط والتشديد على

النفس:

فقليلٌ دائمٌ خيرٌ من كثيرٍ منقطعٍ، وهو معنى قوله ﷺ: "عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملُّ حتى تملوا" (١)

٧- تعويد النفس على قضاء الفئات، من صلاة أو صيام، أو ورد ذكر، أو ورد قراءة، أو حتى صلة وتزاور، أو غير ذلك، وعدم التفريط في ذلك:

فقد قال ﷺ: "مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ" (٢)
 "وكان ﷺ إذا فاته شيءٌ من الليل، لنومٍ أو مرضٍ، صلَّاه من النهار اثنتي عشرة ركعة" (٣)

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

كيف تستفيد من هذا الكتاب؟

١- اقرأ بحب وروية، ثم استرخ للحظات وأغمض عينيك، واسترجع ما قرأته من معلومات وحاول تخزينها في ذاكرتك، ثم ابدأ بعدها عملية في غاية الأهمية
عملية التوافق:

- وهي تشبه عملية التكنولوجيا في العلم، أي عملية تطبيق العلم في الحياة، فالجميع مقتنع أن العلم ليس له قيمة إذا لم نصل به إلى تطبيقات عملية، تحل مشاكلنا في الحياة.

- أسقط المعلومات على حياتك اليومية، وابدأ في تغيير أفكارك، ثم ابدأ في التعامل مع الآخرين، في المنزل والجامعة والشارع والعمل، بناء على الفكرة الجديدة.

٢- يمكنك أن تقرأه مع أصحابك، وأقرانك، تنمو الفكرة وتعظم الفائدة.



٣- يمكنك أن تقرأه مع زوجتك وأولادك، كل ليلة صفحة أو درس، لا تتجاوز العشر دقائق، أو النصف ساعة، يعم الخير وتنتشر السعادة.

٤- يمكن للمدرس أن يستفيد منه، ويفيد تلامذته.

٥- يمكن للداعية أن يقرأه على الناس، أو أن يلقيه عليهم على صفة درس أو خطبة، مع الإضافة أو النقصان أو التغيير، حسبما يتراءى له.

٦- يمكنك إهداء الكتاب، حتى يعم الخير.

" ولا تنس دعوة صالحه لكاتبه أن يعفو الله عنه "



فهرس الموضوعات

- إهداء ٥
- مكتبة ٧
- (١) مجاهدة النفس على تحقيق الإخلاص ١٨
- (٢) مجاهدة النفس على تحري الصدق والتحلي به ٢٥
- (٣) مجاهدة النفس على العطاء والبذل ٣٣
- (٤) مجاهدة النفس على الانشغال بعيوبها عن عيوب غيرها ٤٠
- (٥) مجاهدة الكلام بالصمت ٤٦
- (٦) مجاهدة النفس على ترك الكلام فيما لا يعني ٥٢
- (٧) مجاهدة النفس على حفظ اللسان من الغيبة ٥٨
- (٨) مجاهدة النفس على حفظ البصر ٦٣
- (٩) مجاهدة النفس على تعلم الهدى ودين الحق ٧٥
- (١٠) مجاهدة النفس على العمل بدين الحق ٨٢
- (١١) مجاهدة النفس على تعليم الغير الهدى ودين الحق ... ٨٩



- (١٢) مجاهدة النفس على الصبر بأنواعه ٩٥
- (١٣) مجاهدة النفس على معاداة الشيطان ١٠٢
- (١٤) مجاهدة الدنيا ١٠٩
- (١٥) مجاهدة النفس الأمانة بالسوء بالمحاسبة ١١٧
- (١٦) مجاهدة النفس على التخلص من الهوى ١٢٧
- (١٧) مجاهدة النفس على التخلص من المعاصي ١٣٢
- (١٨) مجاهدة النفس على التحلي بالتواضع ١٣٩
- (١٩) مجاهدة النفس على علو الهمة ١٤٤
- (٢٠) مجاهدة النفس على الدفع بالتي هي أحسن ١٥٦
- (٢١) مجاهدة النفس على إتقان العمل ١٦١
- (٢٢) مجاهدة النفس على اتقاء الشبهات ١٦٩
- (٢٣) مجاهدة النفس على ترك الشهوات (المحرمة) ١٧٧
- (٢٤) مجاهدة الخواطر والأفكار ١٨١
- (٢٥) مجاهدة النفس على التقليل من الخلطة بالناس ١٨٨
- (٢٦) مجاهدة النفس على تدبر القرآن ١٩٥
- (٢٧) مجاهدة النفس على الخشوع في الصلاة ٢٠٠



التربية بالمجاهدة

- ٢٠٦ مجاهدة النفس على قيام الليل (٢٨)
٢١٣ مجاهدة النفس على سلامة الصدر (٢٩)
٢١٨ مجاهدة النفس على الحرص على الوقت واستغلاله (٣٠)
٢٢٦ مجاهدة النفس على المداومة على العمل الصالح .. (٣١)
٢٣٧ كيف تستفيد من هذا الكتاب؟
٢٣٩ فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لخدمات الطباعة

بإشراف مكتب اللؤلؤة لخدمات الطباعة

01007868983 - 01033336232



أعمال المؤلف

■ كتب مطبوعة:

- ١- ٣٠ خطوة في طريق السعادة.
- ٢- تدبر سورة يوسف.
- ٣- تدبر سورة البقرة، دار اللؤلؤة.
- ٤- الأدلة والبراهين على منهج السالكين، ط ٢ جديدة، دار اللؤلؤة
- ٥- إنه الله معرفة ملزمة، وعبودية محتمة (دراسة تربوية لأسماء الله الحسنى) ٢ مجلد، دار اللؤلؤة.
- ٦- التربية بالمجاهدة، ط ٢ جديدة، دار اللؤلؤة
- ٧- إتحاف المستمتع بتهذيب الشرح الممتع ٢ مجلد، دار اللؤلؤة.
- ٨- التوضيحات السديدة على ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة، ١ مجلد، دار اللؤلؤة.
- ٩- المشوق إلى أذكار الصباح والمساء. دار اللؤلؤة.



التربية بالمجاهدة

١٠- شرح صحيح القصص النبوي، للعلامة أبي إسحاق الحويني، ١ مجلد، دار اللؤلؤة.

١٢- عبودية القلب.

الستون حديثاً النبوية في الأعمال القلبية، ٢ مجلد، دار اللؤلؤة

١٣- إسعاف الجريح والجريحة بمعاني الأذكار الثابتة في السنة

الصحيحة، دار اللؤلؤة

١٤- الصوم حياة (قطوف إيمانية عملية تسوقك إلى الله) دار

اللؤلؤة



■ كتب تحت الطبع

- ١- سلوكيات مرفوضة (١٠٠ سلوك مرفوض) ٢ مجلد.
- ٢- زبدة الكلام على عمدة الأحكام ٢ مجلد.
- ٣- تدبر سورة آل عمران
- ٤- فقه السنة الميسر (المسائل الفقهية مقرونة بأدلتها الشرعية).
- ٥- فصول في الفكر والمنهج.
- ٦- تصحيح المفاهيم في ضوء السنة النبوية.
- ٧- إصلاح النفوس بذكر ما في سورة النور من المفاهيم والدروس.
- ٨- تدبر جزء عم.
- ٩- تدبر جزء تبارك.
- ١٠- تدبر جزء قد سمع.
- ١١- المثوية في العملية التربوية (الأحاديث المائة في الأخلاق والتربية).
- ١٢- أدلة وإضاءات على متن الورقات (منشور على شبكة



التربية بالمجاهدة

الألوكة).

١٣- شرح أسماء الله الحسنی للطلائع.

١٤- الله ینادی (إطالة تربوية على سائر نداءات الله تعالى في كتابه)

١٥- المستفاد من زاد المعاد.

١٦- أسماء الله الحسنی المفردة والمقترنة في القرآن الكريم، حصر الآيات، وأسرار خواتيمها، وبيان معانيها .

١٧- المشوق إلى العمل الصالح.

١٨- ويزكيهم (قراءة تربوية لكتاب صحيح الأدب المفرد)

